دروس البلاغة

تأليف

حفني ناصف | سلطان محمد

محمد دياب | مصطفى طمُّوم

شرح

فضيلة الشيخ العلَّامة اللغوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله (١٣٤٧ - ١٤٢١هـ)

اعتنى بهما

محمد بن فلاح المطيري

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

دروس البلاغة

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

مكتبة أهل الأثر

الكويت - خيطان القديم - تلفاكس: ٤٧٦١٣٦٥ -
نقال: ٧٦٩٨٨٩٦
الكويت - الرحاب - ص. ب ٢٨٢
E - mail:
aahel_alather@hotmail.com

غراس

الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجاريه
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www. gheras. com
E-Mail: info@ gheras.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدِّمة المُعتَنِي

إنَّ الحمدَ لِلَّهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أنفسِنا، ومِن سَيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أمّا بعدُ[4]:

---

(١) آل عمران.

(٢) النساء.

(٣) الأحزاب.

(٤) ما سَبَقَ هي خُطبةُ الحاجَةِ التي كان النبيُّ ﷺ يَفتتِحُ بها خُطَبَه، وهي بليغةٌ في نفوس المُتَّقِينَ عظيمةُ الوَقْعِ مُذكِّرةٌ؛ بما اشتملت عليه من الوصية بتقوى اللّه والاستعانة والاستعاذة به وحده، وحَمْدِه وطَلَبِ المغفرة منه سبحانه، وأنَّ الهدايةَ لا تكون إلا بتوفيقٍ منه عزَّ وجلَّ، وأنَّ الفوزَ الحقيقيَّ لا يكون إلا بطاعة اللَّهِ ورسولِهِ.

ويرجع الفضلُ - بعد اللّه عزَّ وجلَّ - في نشر هذه السُّنَّةِ بين المسلمين وإحيائِها في =

فليس ثَمَّةَ وِعاءٌ مُلِئَ فصاحةً وبلاغةً وبياناً أَجْمَعَ مِن كتابِ اللّه عزَّ وجلَّ، وليس في غابرِ الخَلْقِ إلى أن تقومَ الساعةُ أَبْيَنَ معنىً وأَفْصَحَ لَفْظاً وأَبْلَغَ قَصْداً في نفوسِ سامِعِيهِ مِن رسولِ اللّهِ ﷺ، وليس في العُلومِ الرَّديفةِ عِلمٌ يَهَبُ النفوسَ مِن كُنوزِ الوَحْيَيْنِ سِحْراً وتِبْراً أَكْرَمَ نَفْساً مِن عِلْمِ البلاغةِ والبيانِ.

ولَمّا كانتِ الحاجةُ إليه عزيزةً، وبُغْيَةُ النفوسِ إليه عظيمةً؛ أَوْحَىٰ مِدادُ العارفينَ به إلى الصُّحُفِ ما أَوْحَىٰ، فجاءَتْ به الأسفارُ الجَليلةُ بما جادَتْ به العربيةُ مِن فَيْضِ جواهرِها النَّيِّرَةِ، وليس هذا مقامَ ذِكْرِ التَّليدِ منها والجديدِ، غيرَ التوقُّفِ عند هذا المتنِ الفريدِ، الموسومِ علامةً بـ «دروس البلاغة»، لِمُؤَلِّفِيهِ: حفني ناصف، ومحمَّد دياب، وسلطان محمَّد، ومصطفى طمُّوم[1].

وهذا المتنُ - على صِغَرِهِ - حَظِيَ بعنايةِ مَن شَرَحَهُ مِن المشايخ والعلماء، فمنهم عَلَمُ الدين محمد ياسين بن عيسى الفادانيّ الأندونيسيّ تحت عنوان: «حُسْنُ الصِّياغةِ شَرْحُ دروس البلاغةِ»، والشيخُ أبو الأفضال محمد الدامفوري تحت عنوان: «شموس البلاغة».

وقد ذَكَرَ لي شيخُنا د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي - حفظه اللّهُ - أنَّه دَرَسَ هذا المتنَ سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في الجامعةِ الرحمانيةِ في مدينةِ (بنارس) شمالَ الهندِ التابعةِ للجامعةِ السلفيةِ، وأنَّه ما يزال يُدَرَّسُ هناك.

= عصرنا هذا إلى الإمام المحدِّث العلّامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ١٤٢٠هـ)، الذي ضَبَطَ ألفاظَها وجَمَعَ طُرُقَها وخَرَّجَها ودعا إلى التمسُّك بها في رسالتِه المشهورة: «خُطبةُ الحاجةِ التي كان رسولُ اللّهِ ﷺ يُعَلِّمُها أصحابَه»، فرَحِمَهُ اللّهُ رحمةً واسعةً.

(١) لم أحرص على تتبُّع تراجمهم، هذا إن وُجِدَ لبعضهم ترجمة، ولعلَّ أشهرَهم هو حفني ناصف المُتَوَفَّى سنة ١٣٣٨هـ.

ومِن شُرَّاحِه مَن نحن بصَدَدِه الآن وهو فضيلةُ الشيخ العلَّامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فللشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنايةٌ بالِغةٌ باللُّغةِ العربيةِ وعلومِها، ولا أدلَّ على ذلك مِن شَرحِه لألْفيَّةِ ابنِ مالكٍ في النَّحوِ والصَّرْفِ، و- مِن قبلُ - متنِ الآجرُوميَّةِ، بالإضافةِ لشرحِه منظومةَ «الدُّرَّة اليتيمة» في النَّحوِ للحضرميِّ، وكتابتِه لقواعدَ في الإملاء، واختصارِه لـ «مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب» لابنِ هشامٍ الأنصاريِّ، وشرحِه لعلومِ البلاغةِ العربيةِ هذه.

ومؤلَّفاتُ الشَّيخِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودروسُه زاخِرةٌ بذِكْرِ المسائلِ اللُّغويَّةِ والنَّحْويَّةِ والشواهدِ الشِّعْريَّةِ، فلا تكادُ تقرأ للشَّيخِ مؤلَّفاً، أو تَسمَعُ له شرحاً مُسَجَّلًا؛ إلا وجدتَ الأعاريبَ العديدةَ، والتوضيحاتِ الكثيرةَ لغريبِ الكلماتِ لُغَةً ودَلالةً.

وشرحُ البلاغةِ هذا ليس مُحرَّراً بخطِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإنَّما هو سلسلةُ دروسٍ في شرحِ هذا المتنِ ألقاها رَحِمَهُ ٱللَّهُ على طلبته[1]، وهي مُسجَّلةٌ في خمسة أشرطة، قمتُ بتفريغِها ووَضعِ كلِّ جزئية من الشرح في موضعه المناسب من المتن كحاشيةٍ له.

* ويَجدُر هنا التنبيهُ إلى أمورٍ تتعلَّق بشرحه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١- قد يَستطرِد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحياناً في معنى بيتٍ أو جزئيةٍ ما بعيداً عن الشاهد المطلوب.

٢- هناك بعض الجزئيات أو رُبَّما الفقرات لم يَقُمْ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشرحها؛ إما لوضوحها أو سهواً منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه في ١٤/ربيع الآخر/ ١٤١٩هـ، وانتهى منه في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرحٌ قديمٌ لكنَّ تسجيلَه غيرُ واضحٍ كثيراً.

٣ - أحياناً رَحِمَهُ اللَّهُ يأتي بلفظةٍ عاميَّةٍ، فعندئذٍ أقوم باستبدالِ الفُصْحَى بها، كما استبدلتُ (حَسَناً) بـ (طَيِّب)، و(لماذا) بـ (لِيش) ونحو ذلك.

٤ - كثيراً ما يُعبِّر رَحِمَهُ اللَّهُ عن المؤلِّفينَ بصيغةِ المُفرَدِ بقوله: (المؤلِّف).

٥- قد يذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أحياناً معلومةً غيرَ مُكتمِلةٍ أو يُخطئ فيها سهواً منه، ففي هذه الحالة أقوم بإلغائِها، وأحياناً يسأل سؤالًا ثم يجيب عنه فأقوم بالربط بينهما بحذف أداة الاستفهام وتغيير ما يلزم، وأحياناً تحتاج العبارة إلى تعديلٍ بسيطٍ بحذفِ كلمةٍ أو إضافتها، وأحياناً يُكَرِّرُ بعضَ الجُمَلِ فأُثْبِتُ أَسْلَمَها، وهذا كلُّه ولِلَّهِ الحمدُ قليلٌ ويَسيرٌ، فمن المعروف أنَّ مقامَ التدريسِ والارتجالِ ليس كمقامِ التحريرِ وضَبْطِ المقالِ، ويَشهَدُ لهذا ما قاله[1] فضيلةُ الشيخ العلَّامة المحدِّث عبد المحسن بن حمد العَبَّاد - حفظه اللَّهُ- متحدِّثاً عن مؤلَّفاتِ الشيخِ ابنِ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومؤلَّفاته تنقسم إلى قسمين:

١- قسم حرَّره بنفسه وأَخْرَجَه بعد تحريره واطمئنانه إليه.

٢- وقسم لم يُحَرِّرْه، ولكنَّه استُخِرجَ من الأشرطة وطُبِعَ، فهذا مأخوذٌ من دروسه ومن الأشرطة التي اشتملت على دروسه ولكنَّه لم يُحَرِّرْه، ولكنَّه لا شكَّ أنَّها مفيدةٌ وعظيمةُ النفعِ» اهـ.

*** عملي في هذا الكتاب:**

١- ضبطُ كلٍّ من المتن وشرح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالتشكيل وعلامات الترقيم، غير أنَّ التشكيلَ في شرح الشيخ جاء بقدر الحاجة إليه.

٢- عزو الآيات الواردة فيهما.

(١) من محاضرة ألقاها حفظه اللّه على طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوَّرة بعنوان «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

٣- تخريج الأحاديث والآثار الواردة فيهما تخريجاً مُختصَراً.
٤- تبحير الأبيات الشعرية الواردة فيهما.
٥- عزو الأبيات التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى قائليها.
٦- إثبات المتن في الطبقة الأُولى، ثم شرح الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطبقة الثانية، ثم ما كان من تعليقٍ مِنِّي في الطبقة الثالثة، **ويجب التنبُّهُ هنا إلى أنَّ الحاشية ذات الأرقام هي من كلام الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وأنَّ الحاشية ذات النجوم هي تعليقٌ لي.**
٧- بالنسبة لأسئلة الطلبة بعد كلِّ درسٍ فإنِّي أَثْبَتُّ منها ما كان واضحاً ونافِعاً، ووضعتُها في المكان المناسب لها من المتنِ أو الشرحِ.

أمَّا قَبْلُ، فإنَّ الشُكْرَ دَيْنٌ أيَّ دَيْنٍ، وليس أحدٌ في هذا المقامِ بعد رَبِّ العِزَّةِ بأَولى به من أُستاذَيَّ الفاضِلَيْنِ: أ.د. موسى ربابعة، وفضيلة الشيخِ خيري وربي، حَفِظَهما اللَّهُ، اللَّذَيْنِ درستُ عليهما البلاغةَ العربيةَ، فجزاهُما اللَّهُ خيرَ الدَّارَيْنِ.

واللَّهَ أسألُ أنْ يَجزِيَ فضيلةَ الشيخِ العلَّامةِ محمَّدِ بنِ صالحِ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ خيرَ الجزاءِ، وأنْ يُوَسِّعَ له في قبرِه، وأنْ يُعْلِيَ درجتَه في الآخِرة، ويحشرَه يومَ القيامةِ مع الذين يَقْدُمُهُمُ الصحابيُّ الجليلُ معاذُ بنُ جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إنَّه وليُّ ذلك والقادِرُ عليه.

وهذا جُهْدُ مُقِلٍّ، على الكمالِ غيرُ مُطِلٍّ، وصلَّى اللَّهُ وسَلَّمَ على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ما ضاءَ بَدْرٌ وهَلَّ.

وَكَتَبَ

محمَّد بن فلاح بن مشعان المطيري

غفر اللَّهُ له ولوالدَيه وللمسلمين

الخميس ٦/ ٥/ ١٤٢٥هـ

الموافق ٢٤/٦/ ٢٠٠٤م

الكويت - صباح الناصر

ترجمة موجَزة للعلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

* **اسمه**: هو الشيخ العلَّامة الحَبْر البحر المفسِّر الفقيه اللُّغويُّ المدقِّق الأصوليُّ الزاهد الوَرِع الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن صالح بن محمد بن سليمان ابن عبد الرحمن بن عثمان الوهيبيُّ التميميُّ، وعثمان هذا أُطْلِقَ عليه (عثيمين) فاشتُهِرَ به.

* **مولده**: وُلِدَ الشَّيخُ في مدينة عنيزة إحدى مُدُنِ القصيم في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارَك عام ١٣٤٧هـ.

* **نشأته وشيوخه**: نشأ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، فقد تتلمذ ابتداءً على جده من جهة أُمِّه الشَّيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن أشهر شيوخه وأكثرهم فقهاً وعلماً وأكثرهم ملازمةً له علامةُ القصيم المفسِّر الفقيه الأصولي الشَّيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ أخذ عنه كثيراً من العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير ولغة، ودرس أيضاً على يد سماحة الشَّيخ العلامة عبد العزيز بن عبد اللَّه آل باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكثيرٍ من علماء الحرمين ونجد والقصيم.

* **من صفاته**: رُزِقَ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكاءً وزكاءً وهِمَّةً عاليةً في تحصيل العلم ومزاحمة الرُّكَب عند العلماء في حِلَقِ العلم، وكان منذ بداية طلبه للعلم مشغولًا بالتحصيل واغتنام الوقت وصرفه في المطالعة والمكوث الطويل في المكتبات.

وعُرِفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالصدق والأمانة والزهد والإعراض عن الدنيا، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ

حسنَ الخُلُقِ، كريمَ اليدِ، لَيِّنَ الجانبِ، وعنايةُ الشَّيخ بطلبة العلم ومعاملته لهم خيرُ شاهدٍ على بَذْلِه للعلم وحرصِه على بثّه بينهم، فكان يعقد الدروسَ لهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضَهم، ويُعين مَن كان محتاجاً منهم، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ آمِراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مُتمسِّكاً بسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ، مستقيماً على طاعة الله.

* **تلاميذه:** لمَّا اشتُهِرَ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسعة العلم والتبحُّر في المسائل الشرعية؛ حرص طلابُ العلم على التوافد عليه من كل مكان والأخذ عنه، وقد أخذ طلابُه أثناء حياته وبعد وفاته ينشرون العلمَ الذي اقتبسوه منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلدانهم التي جاؤوا منها.

ولكثرة طلابه ولوَجازَة هذه الترجمة؛ لا يمكن ذكرُهم أو بعضٍ منهم، ويُرجَع في ذلك إلى كتاب «الجامع لحياة العلّامة محمد بن صالح العثيمين» لمؤلِّفه: وليد بن أحمد الحسين، وكتاب «الدُّرُّ الثمين في ترجمة فقيه الأُمَّة العلّامة ابن عثيمين» لمؤلِّفه: عصام بن عبد المنعم المري.

* **بعض المناصب التي تقلَّدها:** كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومحاضِراً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وكان مِمَّن يجلس في الحرم المكيّ في شهر رمضان للتدريس والإفتاء، وعُرِضَ عليه القضاءُ فطلب الإعفاءَ منه لِوَرَعِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* **مؤلفاته:** أَثرَىٰ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المكتبةَ الإسلاميةَ بالعديد من الكتب والمصنَّفات التي لا يَستغني عنها أيُّ طالب علم، ومؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تربو على مِئَةِ مُصَنَّفٍ ما بين شرحٍ ومختصَرٍ وكُتَيِّبٍ ورسالةٍ، بَلْهَ الشروحَ المسجَّلَةَ في مئات الأشرطة، فمنها على سبيل الذِّكر لا الحصر:

١- الشرح الممتع على زاد المستقنع.

٢ - شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- القواعد المثلى في صفات اللَّه وأسمائه الحسنى.

٤- القول المفيد شرح كتاب التوحيد للمجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٦- الأصول من علم الأصول.

٧ - المنهج لمُريد الحج والعمرة.

٨- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ.

٩- حقوق دَعَتْ إليها الفطرةُ وقرَّرتها الشريعةُ.

١٠- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

* **وفاته**: تُوُفِّيَ الشَّيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومَ الأربعاء ١٥/ ١٠/ ١٤٢١هـ الموافق ١٠/ ١/ ٢٠٠١م بمدينة جدَّة في المملكة العربية السعودية إثْرَ مَرَضٍ أَلَمَّ به، وصُلِّيَ عليه في الحَرَمِ المكيِّ، ودُفِنَ بمكَّةَ المكرَّمةِ، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمةً واسعةً.

* * *

مقدّمة المؤلِّفيـنَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للّهِ الذي قَصَرَتْ عبارةُ البُلَغاءِ عن الإحاطةِ بمعاني آياتِهِ، وعَجَزَتْ أَلْسُنُ الفُصَحاءِ عن بيانِ بدائعِ مصنوعاتِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على مَن مَلَكَ طَرَفَي البلاغةِ إطناباً وإيجازاً، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الفاتِحين بهديِهم إلى الحقيقةِ مَجازاً(١).

وبعدُ، فهذا كتابٌ في فنونِ البلاغةِ الثلاثةِ، سَهْلُ المَنالِ، قريبُ المَأْخَذِ، بريءٌ مِن وَصْمَةِ التطويلِ المُمِلِّ، وعَيْبِ الاختصارِ المُخِلِّ، سَلَكْنا في تأليفِه أسهلَ التراتيبِ، وأوضحَ الأساليبِ، وجَمَعْنا فيه خُلاصةَ قواعدِ البلاغةِ؛ وأُمَّهاتِ مسائِلِها، وتَرَكْنا ما لا تَمَسُّ إليه حاجةُ التلاميذِ مِن الفوائدِ الزَّوائِدِ؛ وُقوفاً عند حَدِّ اللَّازِمِ، وحِرْصاً على أوقاتِهم أن تَضيعَ في حَلِّ مُعَقَّدٍ، أو تلخيصِ مُطَوَّلٍ، أو تكميلِ مُخْتَصَرٍ، فَتَمَّ به مع كُتُبِ الدروسِ النَّحْويةِ سُلَّمُ الدراسةِ العربيةِ في المدارسِ الابتدائيةِ والتجهيزيةِ.

والفضلُ في ذلك كلِّه للأميرَيْن الكبيرَيْن نُبْلاً، والإنسانَيْن الكاملَيْن فَضْلاً، ناظرِ المعارف، المتجافي عن مِهادِ الراحةِ في خدمة البلاد، الواقفِ في مَنْفَعَتِها على قَدَمِ الاستعداد، صاحبِ العُطوفَةِ: محمَّد زكي باشا، ووكيلِها ذي الأيادي

قال الشيخُ العلّامةُ اللُّغويُّ محمدُ بنُ صالحِ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١) بسم الله الرحمن الرحيم، مثل هذا الأسلوب يُسمِّيه العلماءُ «**بَراعَة الاستفتاح**»، يعني: أنَّ الإنسانَ يَسْتَفْتِح بكلام يدلُّ على الموضوع، فهنا يقول: «**عبارة البُلَغاء**» إشارةً إلى هذا الفن: هو علم البلاغة والفصاحة، وقال أيضاً: «**عن بيان بدائع مصنوعاته**» بدائع: [إشارة إلى] علم البديع؛ لأنَّ هذا الفنَّ يعود على هذا الشيء.

البيضاءِ في تقدُّمِ المعارفِ نحوَ الصِّراطِ المستقيمِ، وإدارةِ شؤونِها على المِحْوَرِ القويمِ، صاحبِ السعادةِ: يعقوب أرتين باشا، فهما اللَّذان أشارا علينا بوضعِ هذا النظامِ المفيدِ، وسلوكِ سبيلِ هذا الوضعِ الجديدِ.

حِفْني ناصف　　محمَّد دياب　　سلطان محمَّد　　مصطفى طمُّوم

* * *

مقدِّمةٌ

في

الفصاحة والبلاغة

مُقدِّمَةٌ في الفصاحةِ والبَلاغَةِ

الفصاحةُ في **اللُّغة** تُنبِئُ عن البيانِ والظُّهورِ. يقال: «أَفْصَحَ الصَّبِيُّ في مَنطِقِه» إذا بانَ وظَهَرَ كلامُه.

وتَقَعُ في **الاصطِلاحِ** وَصْفاً للكلمةِ، والكلامِ، والمُتَكَلِّمِ(١).

١- **ففصاحةُ الكلمةِ**: سلامتُها مِن تنافُرِ الحروفِ، ومخالَفةِ القياسِ، والغرابةِ(٢).

أ- **فتنافُرُ الحروفِ**: وَصْفٌ في الكلمة يُوجِبُ ثِقْلَها على اللِّسانِ، وعُسْرَ النُّطقِ بها، نحو: «الظَّشّ» للموضع الخَشِن، و«الهُعْخُع»(٣) لنباتٍ ترعاه الإبلُ،

(١) إذاً موضوع الفصاحة ثلاثة: الكلمة، والكلام، والمتكلِّم، كلٌّ منها يقال: «فصيح»، وفسَّرَها المؤلِّفُ.

(٢) **سلامتها من ثلاثة أمور**:

الأول: تنافُر الحروف: يعني بأن تكون حروفُها متآلِفةً غيرَ مُتَناكِرَة، **والتآلُف**: أن يَسْهُلَ النُّطْقُ بها مُجْتَمِعَةً، **والتنافُر**: أن يَصْعُبَ النُّطْقُ بها مُجْتَمِعَةً.

الثاني: مخالَفة القياس: يعني القياس النَّحْوِيّ، فما خالَفَ القياسَ النَّحْوِيَّ أو الصَّرْفِيَّ فإنَّه غيرُ فصيح.

الثالث: [الغرابة].

(٣) هذه فيها تنافُرُ حروفٍ؛ لأنَّه يَصْعُبُ النُّطقُ بها؛ إذ أنَّ كلَّ حرفٍ لا يَتلاءَمُ بما بعده، «الظَّشُّ» أهونُ منها، يعني (الظَّشّ) ليس فيه تنافُرٌ كثيرٌ(*).

(*) وهذه إشارةٌ منه رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن الثِّقَل الناتج عن تنافر الحروف ينقسم إلى قسمين:
١- ثِقَل شديد. ٢- ثِقَل خفيف.

و«النُّقَاخ» للماء العَذْب الصَّافي، و«المُسْتَشْزِر» للمَفْتُول[١].

ب- **ومخالَفةُ القياسِ**: كونُ الكلمةِ غيرَ جاريةٍ على القانونِ الصَّرْفِيِّ[*]، كجَمْعِ «بُوق» على «بُوقَات» في قولِ المُتَنَبِّي [الطويل]:

فإنْ يَكُ بعضُ الناسِ سَيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بُوقَاتٌ لها وطُبُولُ

إذِ القياسُ في جَمْعِه للقِلَّةِ: «أَبْوَاق»، وكـ «مَوْدِدَة» في قوله [الرَّجَز]:

إنَّ بَنِيَّ لَلِئَامٌ زَهَدَهْ ما لِيَ في صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدِدَهْ

والقياس: «مَوَدَّة» بالإدغام[٢].

ج- **والغَرابَةُ**: كونُ الكلمةِ غيرَ ظاهرةِ المعنى، نحو: «تَكَأْكَأَ» بمعنى: اجتَمَعَ، و«افْرَنْقَعَ» بمعنى: انْصَرَفَ، و«اطْلَخَمَّ» بمعنى: اشْتَدَّ[٣].

---

(١) هذه كلُّها كلمات متنافرة، لكن «النُّقَاخ» ليس فيه تنافر إلى ذاك، إلَّا أنَّها كلمةٌ مُسْتَهْجَنَةٌ، بمعنى أنَّ النَّفسَ لا ترتاح لها، فالماء الصافي العَذْب لا ينبغي أن يُوصَفَ بهذا الوصف.

(٢) إذاً الفرق في موضع الإدغام يُعتبَر غيرَ فصاحةٍ لِمخالَفة القياس، كذلك «أبواق» إذا قال «بوقات» فهذا مخالِف للقياس؛ لأنَّ القياسَ أن يُجمَع على «أبواق» لا على «بوقات».

(٣) يعني لو قال إنسان: «اليومَ اطْلَخَمَّ الحرُّ» يعني: اشْتَدَّ، هذا غريب، يعني غير معهود أن يُعبَّر بكلمة «اطْلَخَمَّ» عن «اشْتَدَّ»، كذلك «تَكَأْكَأَ» بمعنى: اجْتَمَعَ، وهذا أيضاً غريب، فإذا عبَّر الإنسانُ عن «اجْتَمَعَ» بـ «تَكَأْكَأَ» قيل: الكلام غير فصيح لغرابة الكلمة.

إذاً:

١- تنافر الحروف في الكلمة يُعَدُّ غيرَ فصاحة.

٢- كونها على خلاف القياس - كالفَكِّ في موضع الإدغام - أيضاً غيرَ فصيح؛ لأنَّها مخالِفةٌ للقياس. =

(*) ويُستثنَى من ذلك: ما استُثنِيَ من القواعد الصرفية وهو مخالِف للقياس، فيُعَدُّ فصيحاً، مثل: «مسجِد» بكسر الجيم، والقياس فتحها؛ لأنَّ مضارعَه مضمومُ العين فيكون على وزن «مَفْعَل»، ولكن هكذا نطقت به العربُ.

٢- **وفصاحةُ الكلامِ**: سلامتُه مِن تنافُرِ الكلماتِ مُجْتَمِعَةً، ومِن ضَعْفِ التأْلِيفِ، ومِن التعقيدِ(*)، مع فصاحةِ كلماتِه.

أ- **فالتنافُرُ**: وَصْفٌ في الكلام يُوجِبُ ثِقَلَه على اللِّسان وعُسْرَ النُّطقِ به، نحو [الكامل]:

... . **في رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلُكَ يَشْرَعُ**

[الرَّجَز]:

... . **وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ**(١)

= ٣- غرابتها بحيث لا تُستعمَل إلا قليلًا، غير فصيحة لغرابتها.

يقول الحريري في مقاماته(**) رَحِمَهُ اللهُ [البسيط]:

وطالما مَرَّ بي كلبٌ وفي فَمِهِ ثَـوْرٌ ولـكـنَّـه ثَـوْرٌ بـلا ذَنَـبِ

ما الذي يُفهَم من هذا؟، الثَّوْر: هو قُرْصُ البَقْلِ، هذا يُسمَّى ثَوْراً في اللغة العربية، لكنِ التعبيرُ عنه بكلمة «ثَوْرٍ» غريبٌ، فيُعتبَر هذا غيرَ فصيحٍ(***).

(١) الآن لو نَظَرْنا إلى الكلمات: «عَرْش» و«شَرْع» و«يَشْرَع» [لَوَجَدْناها] كلماتٍ غيرَ متنافِرةٍ =

(*) وأيضاً: سلامته من **تتابُع الإضافات**: وهو كون الاسم مضافاً إضافةً متداخِلةً غالباً، كقوله [الطويل]:

حمامةَ جَرْعا حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسجِعي فأنتِ بمَرْأى مِن سُعادَ ومَسْمَعي

(**) انظر: «المقامة الشَّتَوِيَّة».

(***) سُئِلَ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: الأبيات التي ذُكِرَتْ وما فيها من غرابةٍ وخلافِ الفصاحةِ قد تكون في زمن الناظم أو الشاعر فصيحةً مقبولةً...

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: ليس على كل حال، ولا عبرة بالحال العارِضة، وأحياناً المتكلِّم أو الناظم يأتي بالغرابات لأجل أن يجتهد الناسُ في الوصول إلى معنى الكلام، أو ليقال: إنَّه رجل فصيح له اطلاع قويّ في اللغة العربية.

الطالب: يا شيخ! قد يكون في كلام النبي ﷺ بعض الألفاظ الغريبة، حتى أَلَّف العلماءُ كتابَ غريب الحديث، فهل نقول: هذا خلاف الفصاحة؟

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: لا؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ ما أتى بهذه الكلمة الغريبة إلا في مَحَلِّها.

[الطويل]:

كريمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والوَرَى   معي، وإذاما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي(١)

ب- **وضَعْفُ التأليفِ**: كَوْنُ الكلامِ غيرَ جارٍ على القانونِ النَّحْوِيِّ المشهورِ(٢)، كالإضمار قبلَ الذِّكْرِ لفظاً ورُتبَةً في قولِه [البسيط]:

جَزَى بَنُوهُ أبا الغَيْلانِ عَنْ كِبَرٍ   وحُسْنِ فِعْلٍ كما يُجْزَى سِنِمَّارُ(٣)

= الحروفِ، لكنْ جَمْعُ بعضِها إلى بعضٍ يُوجِبُ التنافرَ، فيكون عدمُ الفصاحةِ في الكلامِ، كذلك أيضاً كلمة «قبر» و«قُرْب» ليس فيها تنافر بالنسبة للكلمة الواحدة، لكنْ بالنسبة لِضَمِّ الكلماتِ بعضها إلى بعضٍ يكون تنافر، فيقال: الكلام غير فصيح لتنافر كلماته.

(١) هذا البيت قويُّ المعنى، يعني: «أنِّي إذا مدحتُ فالورى كلُّهم يمدحونه، وإذا لُمْتُ لم يَلُمْه أحدٌ»، البيت قويٌّ جِدّاً في الثناء على الممدوح، لكنَّه من جهة البلاغة غيرُ فصيح؛ لأنَّ كلماتِهِ متنافِرةٌ.

(٢) إِنْتَبِهْ لكلمة «**المشهور**»، لو كان غيرَ جارٍ على القانونِ النَّحْوِيِّ المُتَّفَقِ عليه فهذا لا يَصلُحُ أصلًا، فلا يقال: إنَّه كلامٌ غيرُ فصيح، بل يقال: إنَّه غيرُ كلام وغيرُ صحيح، مثلًا لو قال: «قام زيداً» هذا غيرُ جارٍ على القانونِ؛ القانونُ برفع «زيد»، لكن هل هذا القانون مُجْمَعٌ عليه أو مُخْتَلَفٌ فيه؟ مُجْمَعٌ عليه، إذاً هذا يُعَدُّ كلاماً فاسداً، لا يقال: إنَّه كلامٌ غيرُ فصيح، بل يقال: إنَّه كلامٌ فاسدٌ، تركيبٌ لا تُجيزُه اللُّغةُ بأيِّ حالٍ من الأحوال.

(٣) أمَّا عَوْدُ الضميرِ على متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً فهذا فيه خلاف: هل هو جائز أو لا؟، فلذلك كان عَوْدُ الضميرِ إلى متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً يَجْعَل الكلامَ غيرَ فصيح؛ لأنَّه غيرُ جارٍ على القانونِ المشهورِ.

«**بَنُوهُ أبا الغَيْلان**»: بَنُوهُ: الهاء متصِلَةٌ بالفاعل، وهي تعود على المفعول به، فهي عائدة على متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً، وهذا مخالِفٌ للقانونِ المشهورِ، إذْ أنَّ المشهورَ أنَّ الضميرَ لا يعود على متأخِّرٍ لفظاً ورُتبةً كما مرَّ علينا ذلك في أصول التفسير.

«**عن كِبَرٍ**» يعني: إذا كَبِرَ وتقدَّمَتْ به السِّنُّ. =

ج- **والتعقيدُ**: أن يكونَ الكلامُ خَفِيَّ الدَّلالةِ على المعنى المرادِ.

والخَفَاءُ:

- إمَّا من جِهَةِ **اللَّفظِ**؛ بسببِ تقديمٍ أو تأخيرٍ أو فَصْلٍ، ويُسمَّى تعقيداً لفظيّاً، كقول المتنبي [الكامل]:

جَفَخَتْ وَهُمْ لا يَجْفَخُونَ بها بِهِمْ   شِيَمٌ على الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلائِلُ

فإنَّ تقديرَه: جَفَخَتْ بهم شِيَمٌ دلائلُ على الحَسَبِ الأَغَرِّ، وهم لا يَجفَخون بها(١).

- وإمَّا من جِهَةِ **المعنى**؛ بسببِ استعمالِ مَجازاتٍ وكِناياتٍ لا يُفهَمُ المرادُ

= **«وحُسْنِ فِعْلٍ»**: يعني: أَحْسَنَ إلى أولادِهِ.

«كما يُجزَى سِنِمَّارُ»: سِنِمَّار هذا رَجُلٌ بَنَى قَصْراً عظيماً جِدّاً جِدّاً لأحدِ الملوكِ لا يُماثِلُه قَصْرٌ، فلمَّا انتهى مِن القَصْر ومِن صُنعِه ولم يَبْقَ إلا أن يَسكُنَه المَلِكُ؛ صَعِدَ [المَلِكُ] بالباني [الذي هو سِنِمَّار] ثم رمى به من فوق على الأرض خوفاً من أن يَبْنِيَ مثلَه لأحدٍ غيره، فكان مَضرِبَ المَثَلِ، سِنِمَّار بعد أن أَحْسَنَ بناءَ هذا القَصْرِ جزاؤُه أن يُرْمَى به من فوق، وعند العوامِّ مَثَلٌ يُقارِب لهذا، يقول: «رَجُلٌ حجَّ على بعيرٍ من بلده حتى رجع إليه على هذا البعير، فلمَّا وَصَلَ إلى البلد ذَبَحَه وجَعَلَه وليمةً لِقُدُومِه من السفر»، فيقول العوامُّ: **«جزاءُ ناقةِ الحجِّ ذَبْحُها»**، هذا كلامُ العوامِّ، وأمَّا هو من حيث الشَّرْع لا بأس به، رجلٌ رَكِبَ البعيرَ وحجَّ به ورجع وهو في غِنى عنه فَذَبَحَه.

(١) أوَّلًا ما معنى «جَفَخَتْ»!؟، هذه فيها شيءٌ من نَقْص البلاغة وهو الغرابة، لهذا هذا لا يُستعمَل بهذا المعنى.

يقول: «جَفَخَتْ» أي: عَلَتْ، «وهم لا يجفخون بها بهم» كلام مُعَقَّد، المعنى: جَفَخَتْ بهم وهم لا يَجفخون بها، فـ «بهم» متعلِّقة بـ «جَفَخَتْ»، و«بها» متعلِّقة بـ «يجفخون»، والمعنى: أنَّ هذه الشِّيَمَ عَلَتْ بهم وهم لا يَعْلُون بها؛ لأنَّهم أشرفُ منها وأعلى منها.

بها، ويُسمَّى تعقيداً معنوياً، نحو قولِك: «نَشَرَ المَلِكُ ألسنتَه في المدينةِ» مُريداً جواسيسَه، والصَّواب: «نَشَرَ عيونَه»[(١)]، وقولِه [الطويل]:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكُمْ لِتَقْرُبُوا   وتَسْكُبُ عينايَ الدُّموعَ لِتَجْمُدَا

حيثُ كَنَى بالجُمود عن السُّرور، مع أنَّ الجُمودَ يُكْنَى به عن البُخْلِ بالدموع وَقْتَ البُكاءِ[(٢)].

٣- **وفصاحةُ المتكلِّم**: مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بكلامٍ فصيحٍ في أيِّ غَرَضٍ كان[(٣)].

---

(١) الآن، التعقيد إمَّا من جهة اللَّفظ، وإمَّا من جهة المعنى، فإذا كان الكلامُ مُعَقَّداً فليس بفصيح، سواءٌ كان التعقيدُ **لفظياً** - كالتقديم والتأخير - الذي يَصْعُبُ به فهمُ المعنى، أو **معنوياً** كأنْ يأتي بكلمات بعيدة عن المراد.
«**نَشَرَ المَلِكُ ألسنتَه في المدينة**»، لو أراد «ألسنتَه»: «خُطَباءَه»؛ لكان فصيحاً غيرَ مُعَقَّد، لكن يريد جواسيسَه، [و] هذا غيرُ صحيح بعيدُ المعنى، إذْ أنَّ الجواسيسَ يُسَمَّوْنَ عيوناً؛ لأنَّ الجاسوسَ ينظر في الملامح وفي الأشياء التي تُعَدُّ قرائِنَ، فالمهمُّ أنَّه إذا قال: «نَشَرَ المَلِكُ ألسنتَه في المدينة» يريد الجواسيس؛ فهذا الكلام غير فصيح؛ لأنَّ فيه تعقيداً معنوياً، إذْ أنَّ الألسنة لا يُعبَّر بها عن الجواسيس.

(٢) هذا البيتُ مُعَقَّدٌ تعقيداً معنوياً، «**سأطلب بُعْدَ الدار عنكم لتقربوا**»؛ لأنَّه إذا أَبْعَدَ تَبِعُوه، فهو كُلَّما أَبْعَدَ قَرُبوا منه، «**وتسكبُ عينايَ الدموعَ لِتَجْمُدَا**» وهذا غير صحيح؛ لأنَّه يريد «لتسكب عينايَ الدموعَ»: لأُسَرَّ، وهذا لا يتناسب مع قوله: «لِتَجْمُدَا».
إذاً سَبَقَ لنا فصاحةُ الكلمة وفصاحة الكلام، بقي فصاحة المتكلِّم.

(٣) **فصاحة المتكلِّم نوعان:**
١- **غريزة**: يَمُنُّ اللَّهُ بها على مَن يشاء مِن عباده، فيجعله فصيحاً قَوِيَّ الكلامِ قَوِيَّ الإقناع.
٢- **ومُكتسَبة**: وذلك بالتمرُّن على الخَطابة، ولو أن تَخرُجَ إلى البَرِّ وتَستحضِرَ =

والبلاغةُ في اللُّغة: الوصولُ والانتهاءُ. يقال: «بَلَغَ فلانٌ مُرادَه»: إذا وَصَلَ إليه، و«بَلَغَ الرَّكْبُ المدينةَ»: إذا انتهى إليها.

وتقع في **الاصطلاح** وَصْفاً للكلام والمتكلِّم(١).

= الأشجارَ حولك كأنَّهم رجالٌ ثم تَخطُب فيهم، فإن شئتَ فقل: أيُّها الناس!، وإن شئتَ فقل: أيُّها الأشجار!، المهِمُّ أن تتعوَّدَ على الخَطابة.

فالفصاحة إذاً نوعان، فصاحةٌ غريزةٌ يَمُنُّ اللَّهُ بها على مَن يشاء مِن عباده، فتجد المتكلِّمَ طالِبَ علم صغيراً ومع ذلك يَخطُب الخُطبة البليغة العظيمة، وتجد بعضَ الناسِ عالِماً كبيراً وفقيهاً نِحريراً ومع ذلك لا يكاد يتكلَّم إلا كلاماً مُعَقَّداً ركيكاً، وأيضاً بعضُ الناس يكون فصيحاً في الكتابة غيرَ فصيح في الخَطابة، وقد حَكَى لنا شيخُنا(*) تلميذُ شيخِنا ابنِ سعدي رحمهما الله أنَّ الشيخَ محمَّد رشيد رضا صاحبَ القلم السَّيَّالِ المعروفَ؛ كان إذا تكلَّمَ لا يتناسب كلامُه مع كتابتِهِ، بل كلامه ضعيف جِدّاً، وإن شئتَ أن تَعرِف ذلك فانْظُرْ إلى كلام ابن الجوزي الواعظ المشهور، وإلى كلام ابن تيميَّة؛ تجد بينهما فَرْقاً من حيث التأثير، لا من حيث القوَّة المعنوية والاستدلال والأدلة، لا، لكن من حيث التأثير ابنُ الجوزي يَهُزُّ عشراتِ الآلاف في خُطبته، ورُبَّما يموت بعضُ الناسِ من شِدَّةِ تأثُّره، وابنُ تيميَّة لا يبلغ هذا المبلغ.

وقول المؤلف: «**في أيِّ غَرَضٍ كان**» هذه نقطة مُهِمَّة؛ لأنَّ بعضَ الناس يكون فصيحاً في غَرَضٍ من الأغراض [و] غيرَ فصيح في غَرَضٍ من الأغراض، تجده مثلًا إذا تكلَّمَ في باب الأصول يكون فصيحاً جيِّداً، [و] إذا تكلَّمَ في فقهٍ يكون رديئاً، والعكس.

والمهِمُّ أن نَعرِف أنَّ فصاحةَ المتكلِّم هو قدرته على التعبير عمَّا في ضميره بكلام فصيح، وعَرَفْتُمُ الكلامَ الفصيحَ أنَّه يكونَ فصيحاً في نفسه وفصيحاً في كلماته، يعني: اشْتَمَلَ على فصاحة الكلمة وفصاحة التركيب.

(١) هنا سَقَطَ شيءٌ من الفصاحة، وهو فصاحة الكلمة؛ لأنَّ البلاغة لا تكون إلا في كلامٍ =

(*) يظهر - والله أعلم - أنَّه الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٣٨٣هـ)، فقد كان الشيخ ابن عثيمين ممَّن قرؤوا ابتداء على كبار طلبة الشيخ السعدي قبل أن يقرأ عليه، ويؤيِّد ذلك قولُه في مقابَلةٍ إذاعيَّةٍ معه: «كنتُ من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع»، انظر: «الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمَّة العلَّامة ابن عثيمين» (ص٢٧).

١- **فبلاغةُ الكلامِ**: مطابَقتُه لِمُقْتَضَى الحالِ(١)، مع فصاحتِه(٢).

والحالُ- ويُسمَّى بالمقام-: هو الأمرُ الحاملُ للمتكلِّم على أن يُورِدَ عبارتَه على صورةٍ مخصوصةٍ.

والمُقْتَضَىٰ- ويُسمَّى الاعتبارَ المناسِبَ - : هو الصُّورة المخصوصة التي تُورَدُ عليها العبارةُ، مثلًا: المدحُ حالٌ يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاءُ المخاطَبِ حالٌ يدعو لإيرادها(٣) على صورة الإيجاز، فكُلٌّ من المدحِ والذَّكاءِ حالٌ، وكُلٌّ من الإطناب والإيجاز مُقْتَضًى، وإيرادُ الكلامِ على صورةِ الإطنابِ أو الإيجازِ مطابَقةٌ للمُقْتَضَى(٤)(٥).

= مُرَكَّبٍ بخلاف الفصاحة، لذلك أَسْقَطَ هنا فصاحةَ الكلمةِ(*)، ولكن مع ذلك لا بُدَّ أن يكونَ الكلامُ البليغُ فصيحاً، فالفصاحة ملازِمة لنا في كل شيء، إذا فُقِدَتِ الفصاحةُ فُقِدَتِ البلاغةُ، وإن فُقِدَتِ البلاغةُ فَقَدْ تُفْقَدُ الفصاحةُ وقد لا تُفْقَدُ(**).

والبلاغة تكون وَصْفاً للكلام والمتكلِّم [لا للكلمة]؛ لأنَّ الكلام إنَّما يكون في الجُمَل المُرَكَّبة لا في المُفْرَدات.

(١) **«مطابَقته لمقتَضَى الحالِ»** هذه مُهِمَّة جِدّاً، وهي من الحكمة، لو رأيتَ إنساناً غضبانَ مُتكَدِّراً تعبان؛ هل تُورِد عليه من الكلام ما يزيده غَمّاً وهَمّاً؟ لا، لا يمكن، هذه ليست بلاغة، إنما تخاطبه بما تقتضيه حالُه.

(٢) وهو لا يكون فصيحاً إلا بفصاحة كلماته.

(٣) **«لإيرادها»**: أي : إيراد العبارة.

(٤) **«للمقتضَى»**: أي: لمقتضَى الحال.

(٥) الإنسان الذَّكِيّ هل يحتاج أن تُرَدَّدَ عليه الكلامَ وتُطَوِّلَ له الكلام؟ لا؛ لأنَّه ذَكِيٌّ، لو تُرَدِّدُ عليه انْتَقَدَك، وفي حالِ المَدْحِ طَوِّلِ العبارةَ، أَكْثِرْ من المَدْحِ، ولذلك تجد أنَّ النَّبيَّ ﷺ حين يسأل اللَّهَ يسأل بإطناب وتطويل: **«اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجِلَّه، علانيتَه** =

(*) وإنَّما لم توصَف الكلمةُ بالبلاغة؛ لقصورها عن الوصول بالمتكلِّم إلى غرضه.

(**) قال ابن الأثير: «كلُّ كلامٍ بليغٍ فصيحٌ، وليس كلُّ فصيحٍ بليغاً».

٢- **وبلاغةُ المُتكلِّمِ**: مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بكلامٍ بليغٍ، في أيِّ غَرَضٍ كان.

ويُعرَفُ التنافرُ: بالذَّوْقِ، ومخالَفةُ القياسِ: بالصَّرْفِ، وضَعْفُ التأليفِ والتعقيدُ اللَّفظيُّ: بالنَّحْوِ، والغرابةُ: بكثرةِ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ، والتعقيدُ المعنويُّ: بالبيانِ، والأحوالُ ومُقتضَياتُها: بالمعاني.

فَوَجَبَ على طالبِ البلاغةِ معرفةُ اللُّغةِ والصرفِ والنحوِ والمعاني والبيانِ، مع كَوْنِه سليمَ الذَّوْقِ، كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ(١).

* * *

= **وسِرَّه، وأوَّلَه وآخِرَه**»(*)، «**اللهم اغفر لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، وما أنت أعلمُ به مِنِّي**»(**)، كل هذه إطناب؛ لأنَّ المقامَ يقتضيه، إذْ أنَّك تُخاطِب مَن؟ تُخاطِب أحبَّ مَن تُخاطِبُه، وهو اللَّهُ عزَّ وجلَّ.

في دعاء الميِّت: «**اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتِنا، وشاهِدِنا وغائِبِنا، وصغيرِنا وكبيرِنا، وذَكَرِنا وأُنثانا**»(***)، مع أنَّه يُغني عن كل هذا: «لحيِّنا وميِّتِنا»؛ لأنَّ كلَّ هؤلاء إمَّا أحياء وإمَّا أموات، فلكلِّ مقام مقالٌ، لو قلتَ لذكِيٍّ: «قُمْ قُمْ قُمْ»؛ فسيقول: أنا بليد تُرَدِّدُ عليَّ كلمة «قُمْ»!!؟، أنا لو أُريد أن أقوم قُمْتُ، لكن لا سَمْعاً ولا طاعةً.

(١) نحن لو أردنا أن نأخذ بكلام المؤلِّف هذا كان من الآن رَجَعْنا، إذا كان علمُ البلاغةِ [يَتَطَلَّبُ] كلَّ هذا: اللُّغة والصرف والنحو والمعاني والبيان وكَوْنَ الإنسانِ مِنَّا سليمَ الذَّوْقِ كثيرَ الاطِّلاع على كلام العرب؛ معناه أن نقول: من الآن رَجَعْنا ولا داعيَ للبلاغة، لكنِّي أقول لكم: هذا غير صحيح أبداً، وستعلمون ذلك - إن شاء اللَّهُ - مِن دراسة هذا الفَنِّ، هذا الفَنُّ الإنسانُ بذَوْقِه يشتاق إليه، وتجده نشيطاً دائِماً في قراءَتِه، وسيَتَبَيَّنُ إن شاء اللَّهُ.

(*) رواه مسلم (٤/رقم: ٢١٦).

(**) رواه البخاري (٩٧/ ٢٤)، ومسلم (٤٨/ رقم: ٧٠) واللفظ له.

(***) رواه أحمد في مسنده (٢/٣٦٨)، وأبو داود (١٥/ ٦٠)، والترمذي (٨/ ٣٨)، والنسائي (٢١/ ٧٧)، وابن ماجه (٦/ ٢٣)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (رقم: ١٦٧٥).

عِلْمُ المعاني

عِلْمُ المعاني

هو عِلْمٌ يُعرَفُ به أحوالُ اللُّفظِ العربيِّ التي يُطابِق بها مُقتضَى الحالِ، فَتَخْتَلِفُ صُوَرُ الكلام لاختلافِ الأحوالِ، مثالُ ذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فإنَّ ما قبل «أَمْ» صورةٌ من صُوَرِ الكلامِ تُخالِفُ صورةَ ما بعدها؛ لأنَّ الأُولَى فيها فِعْلُ الإرادةِ مَبْنِيٌّ للمجهول، والثانيةَ فيها فِعْلُ الإرادةِ مَبْنِيٌّ للمعلوم، والحالُ الدَّاعي لذلك نِسْبَةُ الخيرِ إليه سبحانه وتعالى في الثانية، ومَنْعُ نِسْبَةِ الشَّرِّ إليه في الأُولَى(١).

ويَنْحَصِرُ الكلامُ هنا على هذا العِلْمِ في سِتَّةِ أبوابٍ.

* * *

(١) هذا من البلاغة، ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ هذا يقوله الجِنُّ، ولم يقولوا: «أَشَرٌّ أرادَ اللَّهُ بمَن في الأرض»، مع أنَّ الإرادةَ إرادةُ اللَّهِ، لكن تحاشِياً لإضافة الإرادةِ(*) إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ قالوا: ﴿أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فَبَنَوا الفعلَ يقول المؤلِّف: «للمجهول» ونحن نقول: «لِمَا لَم يُسَمَّ فاعلُه» كما عبَّر ذلك ابنُ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في الألفيَّة وكما هو واضح، فإنَّ قولَه تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] الخالِقُ معلومٌ، لكن بُنِيَ الفعلُ لِمَا لَم يُسَمَّ فاعلُه.

﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هذه الجملة مطابِقة لمُقتَضى الحالِ؛ لأنَّ مُقتَضى الحالِ ألَّا تُضيفَ الشَّرَّ إلى الله، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**والشَّرُّ ليس إليك**»(**)، أمَّا الخيرُ فيُضاف إلى اللَّهِ لأنَّه خير، ولهذا قالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ولَم يقولوا: «أم أرادَ اللَّهُ»؛ لأنَّ «الرَّبُّ» أَخَصُّ فيما يَتَعلَّق بأفعال الرَّبِّ مِن الإلهِ.

(*) أي: إرادة الشر.

(**) رواه مسلم (٦/رقم: ٢٠١).

الباب الأوَّل

الخَبَر والإنشاء

الخبر والإنشاء

كلُّ كلامٍ فهو إمَّا خَبَرٌ أو إنشاءٌ[١].

والخَبَرُ: ما يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه: إنَّه صادِقٌ فيه أو كاذِبٌ، كـ «سافَرَ محمَّدٌ» و«عليٌّ مُقيمٌ»[٢].

والإنشاءُ: ما لا يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه ذلك، كـ «سافِرْ يا محمَّدُ»، و«أَقِمْ يا عليُّ»[٣].

---

(١) صحيح، لا يَخرُج عن هذا، ليس هناك كلامٌ ليس خبراً ولا إنشاءً، بل كلُّ كلامٍ في الدُّنيا - عربيّاً كان أو أعجميّاً - فإنَّه إمَّا خبرٌ وإمَّا إنشاءٌ.

(٢) وهنا «أو كاذب» للتنويع، ليس معناه: «أنَّ كلَّ خبرٍ يَصِحُّ أن نقول: إنَّه صادق أو كاذب»، بل إمَّا أن يُوصَف بأنَّه صادق أو يُوصَف بأنَّه كاذب.

أخبارُ اللّهِ عزَّ وجلَّ ورسولِه لا يمكن أن تُوصَف بأنَّها كاذبة، وأخبارُ مُسَيلِمَةَ الكذَّابِ وأشباهِه لا يمكن أن تُوصَف بالصدق، لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلاً، بل بالنظر إلى المتكلِّم، فامْتِناعُ الصدقِ في كلام مُسَيلِمَةَ وأشباهِه فيما يَدَّعيه من النُّبوَّة لا لأنَّ الكلامَ لا يَصِحُّ أن يُوصَف بالصدق، لأنَّه لو قاله الرسولُ محمَّدٌ ﷺ لَوُصِفَ بالصدق، لكن باعتبار أنَّ هذا المتكلِّمَ به كاذِبٌ، وخبرُ اللّهِ ورسولِه لا يمكن أن يُوصَف بالكذب؛ لأنَّه خبرُ اللّهِ ورسولِه.

واحد قال لك: «سافَرَ محمدٌ»، [هل] يَصِحُّ أن تقول: «صدقْتَ»، إذا سافَرَ صَدَقَ، وقال الثاني: «عليٌّ مُقيم» [هل] يَصِحُّ أن نقول: «إنَّه كاذب أو صادق»، يَصِحُّ، إن كان مقيماً حقّاً فهو صادق، وإن كان غيرَ مقيمٍ فهو كاذب.

(٣) لو قال لك إنسانٌ - وأنت اسمك محمَّد -: «سَافِرْ يا محمد» [فهل] يصلح أن تقول: «صدقْتَ»، [وهل] يصلح أن تقول: «كذبْتَ»، لا، بل تقول: «أَبْشِرْ»، أو تقول: «لا»، كذلك «أَقِمْ يا عليُّ» نفس الشيء.

والمرادُ بصِدْقِ الخبرِ: مطابَقتُه للواقع، **وبكَذِبِه**: عدمُ مطابَقتِه له.

فجُمْلَةُ «عليٌّ مُقيمٌ» إن كانت النِّسْبَةُ المفهومةُ منها مطابِقَةً لِمَا في الخارِجِ[١] فصِدْقٌ، وإلّا فكَذِبٌ.

ولكلِّ جملةٍ رُكنانِ: محكومٌ عليه، ومحكومٌ به.

- **ويُسمَّى الأوَّلُ: مُسنَداً إليه**، كالفاعلِ ونائِبِه، والمبتدإِ الذي له خبرٌ.

- **ويُسمَّى الثاني: مُسنَداً**، كالفِعْل، والمبتدإِ المكتفِي بمرفوعِه[٢].

* * *

(١) المراد «**بالخارج**»: الواقع، مطابِقة لِمَا في الواقع.

(٢) هذه أيضاً من القواعد، كل جملة لها ركنان:

١- محكومٌ عليه.

٢- ومحكومٌ به.

ويُسمَّى الأوّل: **مُسنَداً إليه**، والثاني: **مُسنَداً**.

نَضرِبُ مثلًا: «قام زيدٌ» هذه جملة فيها محكوم به ومحكوم عليه:

- **المحكوم به**: قام.
- **والمحكوم عليه**: زيد.

يُسمَّى الأوَّلُ: مُسنَداً «المحكوم به»، ويُسمَّى الثاني: مُسنَداً إليه [المحكوم عليه]، ولهذا تقول في «قام زيدٌ»: قام: مُسنَد إلى زيد، وتقول: أسندْتُ القيامَ إلى زيد، إذاً كل جملة من خبرية أو إنشائية لا بُدَّ فيها من ركنين.

مَثَّلَ بعدَّة أمثلة:

- **كالفاعل ونائبه**: مُسنَد إليه.
- **المبتدأ الذي له خبرٌ**: مُسنَد إليه، «زيدٌ قائمٌ»: زيد: مُسنَد إليه، قائم: خبر [مُسنَد].
- **الفعل**، واضح: «قام زيدٌ».

=

= - **المبتدأ المكْتَفي بمرفوعه**، مثل: «أقائمٌ زيدٌ»: قائم: مبتدأ، وزيد: فاعل أغنَى عن الخبر(*).

(*) **مواضع المُسنَد والمُسنَد إليه**:
١- **المُسنَد**: خبر المبتدأ، الفعل التام، اسم الفعل، أخبار النواسخ، المفعول الثاني لـ«ظَنَّ» وأخواتِها، المفعول الثالث لـ«أرَىٰ» وأخواتِها، المصدر النائب عن فعل الأمر: «سَعْياً في الخير»، المبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر: «**أقادمٌ أنت**».
٢- **المُسنَد إليه**: المبتدأ، الفاعل ونائبه، أسماء النواسخ، المفعول الأول لـ«ظَنَّ» وأخواتِها، المفعول الثاني لـ«أرَىٰ» وأخواتِها.

وما زادَ على هذه المواضع يُسمَّى «**قَيْداً**» سوى صِلَة الموصول والمضاف إليه، **والقيود هي**: أدوات الشرط، وأدوات النفي، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع، والنواسخ.

الكلام على الخبر

الخبرُ إمَّا أن يكون جُملةً فعليةً أو اسميةً.

فالأُولى: موضوعةٌ لإفادةِ الحُدوثِ في زَمَنٍ مخصوصٍ مع الاختصار، وقد تُفيدُ الاستمرارَ التَّجَدُّدِيَّ بالقرائِنِ إذا كان الفِعْلُ مُضارِعاً، كقول طريف [الكامل]:

أَوَكُلَّما وَرَدَتْ عُكَاظَ قبيلةٌ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

والثانيةُ: موضوعةٌ لِمُجَرَّدِ ثُبوتِ المُسْنَدِ للمُسْنَدِ إليه، نحو: «الشَّمسُ مضيئةٌ»، وقد تُفيدُ الاستمرارَ بالقرائِنِ إذا لم يَكُنْ في خبرِها فِعْلٌ، نحو: «العِلْمُ نافِعٌ»[(١)].

* * *

---

(١) الآن أفادَنا المؤلِّفُ أنَّ الخبرَ إمَّا أن يكون جملةً فعليَّةً أو اسميَّةً:
- **الفعلية** يُراد بها ثبوت مدلولِها في زَمَنٍ مُعَيَّنٍ.
- **والاسمية** يُراد بها ثبوت مدلولِها على وجه الاستمرار.

ولهذا قالوا: «**الجملة الفعلية تفيد الحدوث، والجملة الاسمية تفيد الاستمرار**»، وهذا أيضاً من البلاغة، كُلَّما وَجَدْتَ جملةً اسميةً فهي للاستمرار، وكُلَّما وَجَدْتَ جملةً فعليةً فهي للحدوث لا تقتضي الاستمرار، لكنها مع ذلك قد تقتضي بالقرائِنِ، ومنها: إذا كان الفعل مضارِعاً، فإنَّ المضارِعَ يُفيد الاستمرار غالباً، مثل: «**كان النَّبِيُّ ﷺ يقرأ في الجمعة بـ «سَبِّحْ» و«الغاشية»**»(*).

(*) روى مسلم في صحيحه (٧/ رقم: ٦٢) عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقرأ في العيدين والجمعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾».

[الغرض من إلقاء الخبر]

والأصلُ في الخبرِ أن يُلْقَى لإفادَةِ المخاطَبِ الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَتْهُ الجملةُ، كما في قولِنا: «حَضَرَ الأميرُ»، أو لإفادَةِ أنَّ المتكلِّمَ عالِمٌ به، نحو: «أنتَ حَضَرْتَ أمسِ»، ويُسمَّى الحُكْمُ: **فائِدَةَ الخبرِ**، وكَوْنُ المتكلِّمِ عالِماً به: **لازِمَ الفائِدَةِ**(١).

* * *

(١) الأصل في الخبر أن يُلْقَى لإفادة المخاطَب ما دلَّ عليه، كقولك: «حَضَرَ الأميرُ»، فإنَّ قولَك «حَضَرَ الأميرُ» يُراد به إفادةُ المخاطَب بحضور الأمير، هذا هو الأصل.

وقد يُلْقَى لإفادة أنَّ المتكلِّمَ عالمٌ به، نحو أن تقول للمخاطَب: «لقد حَضَرْتَ أمسِ»، يُسمَّى الأوَّل: فائدة الخبر، ويُسمَّى الثاني: لازم الفائدة(*)، وهذا شيءٌ مُصطَلَحٌ عليه عندهم، ولكنْ هذا مضمونُ الكلامِ.

(*) وهذان الغرضان قد يُضَمِّنُهما المتكلِّمُ أغراضاً أخرى تُفهَم من السياق والقرائن، ومن أهم تلك الأغراض:

١- **الاسترحام والاستعطاف**: إنّي فقيرٌ إلى عفو ربي.
٢- **إظهار الضَّعف**: ﴿إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾ [مريم: ٤].
٣- **إظهار التحسُّر**: لقد ضيَّعْتُ العلمَ.
٤- **رَفْع الهِمَّة**: كقول النبيِّ ﷺ: «**الجَنَّةُ أقربُ إلى أحدِكم من شِراكِ نَعلِه**» رواه البخاري (٨١: ٢٩).
٥- **الفخر** [الوافر]: أنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثنايا متى أَضَعِ العِمامَةَ تعرفوني.
٦- **المدح**: أقبَلَ الفارسُ الشجاعُ.
٧- **التحذير**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].
٨- **التوبيخ**: كقولك لمخطئٍ: لا أحد يفعل مثلما فعلْتَ.

أَضْرُبُ الخبرِ

حيثُ كان قَصْدُ المُخْبِرِ بخبرِه إفادةَ المخاطَبِ؛ ينبغي أن يُقْتَصَرَ مِن الكلامِ على قَدْرِ الحاجةِ؛ حَذَراً مِن اللَّغْوِ.

- فإن كان المخاطَبُ **خاليَ الذِّهْنِ** مِن الحُكْمِ أُلْقِيَ إليه الخبرُ مُجَرَّداً عن التأكيد، نحو: «أخوك قادمٌ».

- وإن كان **مُتَرَدِّداً** فيه طالِباً لمعرفتِهِ حَسُنَ توكيدُه(*)، نحو: «إنَّ أخاك قادمٌ».

- وإن كان **مُنْكِراً** له وَجَبَ توكيدُه بمُؤَكِّدٍ أو مُؤَكِّدَيْنِ أو أَكْثَرَ، حَسَبَ درجةِ الإنكارِ، نحو: «إنَّ أخاك قادمٌ»، أو «إنَّه لَقَادمٌ»، أو «واللَّهِ إنَّه لَقَادمٌ».

فالخبرُ بالنسبةِ لِخُلُوِّهِ من التوكيدِ واشتمالِه عليه ثلاثةُ أَضْرُبٍ كما رأيتَ(**)، ويُسمَّى الضَّرْبُ:

(*) المرادُ هنا توكيدُ الحُكْم، لا توكيدُ أحدِ طرفَي الإسنادِ.

(**) هذا هو الأصل في إلقاء الخبر لهؤلاء الثلاثة: خالي الذِّهن، والمتردِّد، والمُنكِر.

وأحياناً يُورِدُ المتكلِّمُ التوكيدَ في خطاب خالي الذِّهن ولا يُورِدُه مع المتردِّد أو المُنكِر، فيَعدِلُ عن مقتضى الظاهر ويُورِدُ الكلامَ على خلافه؛ لِمَا يرى مِن حال المخاطَب، وذلك على النحو الآتي:

١- **تنزيل خالي الذِّهن منزلة المتردِّد**، إذا تقدَّمَ في الكلام ما يُشير إلى حُكْم الخبرِ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٣٧]، لَمَّا نهى اللَّهُ عزَّ وجلَّ نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ عن مخاطبته في شأن الظالمين؛ أصبح متطلِّعاً إلى معرفة مصيرهم، فنُزِّلَ منزلة السائل المتردِّد فجاء الخبر مؤكَّداً: ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

٢- **تنزيل غير المُنكِر منزلة المُنكِر**؛ لظهور أمارات الإنكار عليه، كقولك لِمَن لا يُصلِّي: «إنَّ الصلاةَ لَواجبةٌ»، فهو لا ينكر وجوبَ الصلاةِ، ولكن لظهور أمارات الإنكار عليه حَسُنَ إلقاء الخبر إليه مُؤكَّداً.

٣- **تنزيل المُنكِر منزلة غير المُنكِر**، إن كان لديه دلائلُ وشواهدُ لو تَأَمَّلَها لَارتَدَعَ عن إنكاره، كقولك لِمَن يجحد فضل العِلْم: «العِلْمُ نافعٌ»، فإنَّه لو تَأَمَّلَ مكانةَ العِلْمِ لَارتَدَعَ عن إنكاره.

- الأولُ: **ابتدائياً**.

- والثاني: **طَلَبياً**.

- والثالثُ: **إنكارياً**(١).

ويكون التوكيدُ بـ(*) «أنَّ»، و«إنَّ»، ولامِ الابتداءِ، وأَحْرُفِ التنبيهِ، والقَسَمِ، ونوني التوكيدِ، والحروفِ الزائدةِ(**)، والتكريرِ، و«قد»،

(١) الأصل أن يُلْقَى الخبرُ خالياً من التوكيد؛ لأنَّ التوكيدَ زيادةٌ في المبنَى، والزيادةُ التي لا فائدةَ منها تَرْكُها فائدةٌ.
- فإذا كنتَ تخاطِب رجلًا خاليَ الذِّهن فالأحسن ألَّا تُؤَكِّد، بل تقول: «أخوك قادمٌ»، لماذا؟ لأنَّه خالي الذِّهن، ولا حاجة أن تُؤكِّد.
- وإن كان مُتردِّداً حَسُنَ أن تُؤَكِّده ليَزولَ عنه التردُّدُ، كإنسانٍ شكَّ في مفاد الخبر فتُؤَكِّده له.
- وإن كان مُنكِراً يقول: «هذا لم يكن» فإنَّه يجب أن تُؤَكِّده، إمَّا بمُؤَكِّد أو مُؤَكِّدَيْن أو ثلاثةٍ، حَسَبَ قوَّة الإنكار، إن مُنكِراً إنكاراً عظيماً فبمُؤَكِّدَيْنِ أو ثلاثة، بل ولو زادَ على ذلك حتى يُقِرَّ، وأيضاً إذا رأيته مُنكِراً أكثر اضرِبْ له الأمثالَ التي تُبَيِّنُ إمكانَ صِدْقِ الخبر.
- «إنَّ أخاك قادِمٌ» لمَن أنكر ولكن ليس إنكاراً شديداً.
- «إنَّ أخاك لَقادِمٌ» لمَن أنكر إنكاراً متوسِّطاً.
- «واللَّهِ إنَّ أخاك لَقَادِمٌ» لمَن أنكر إنكاراً شديداً.

هذا هو الأصل، وسيأتيك ما يُخالِف الأصلَ إن شاء اللَّهُ تعالى.

(*) ومِمَّا يُستعمَل للتوكيد:
١- كون الجملة اسميةً، فالجملة الاسمية آكَدُ من الجملة الفعلية.
٢- ضمير الفصل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦].

(**) «مِن» والباء حرفا جَرٍّ أصليان، وقد يُستعمَلان زائدَينِ لتوكيد الحكم في مثل قوله تعالى:
١- ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].
٢- ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

و«أمّا» الشَّرْطِيَّةِ(١).

* * *

(١) **هذه أدواتُ التوكيد:**
١- **«إنَّ» و«أنَّ»**، سواءٌ كانتا مُخَفَّفَتَيْنِ أو مُثَقَّلَتَيْنِ، فقوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] هذه مُؤكَّدة بمُؤَكِّدَيْنِ: إنْ واللام.
٢- **لام الابتداء**، مثل أن تقول: «لَزيدٌ قائمٌ»، اللام هنا ليست للقَسَم ولكنها للابتداء، وتفيد التوكيد.
٣- **وأحرف التنبيه**، مثل: «يا» «لا»: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١].
٤- **والقَسَم**.
٥- **ونونا التوكيد**، يعني: المُخَفَّفَة والمُثَقَّلَة، قال اللّه تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]، الأولى: مُثَقَّلَة، والثانية: مُخَفَّفَة.
٦- **والحروف الزائدة**، الحروف الزائدة لا يَصِحُّ أن نقول: إنَّها زائدةٌ بمعنى أنَّها لَغْوٌ لا فائدة منها، بل نقول: هي زائدة من حيث التركيب لكنَّها في المعنى مفيدة للتوكيد، فيَصِحُّ أن تقول: «هي زائدةٌ زائدةٌ»، ما هذا؟! نَعَمْ، الأُولى: لازِمة، والثانية: مُتَعدِّية؛ لأنَّ «زادَ» و«نَقَصَ» تُستعمَلان مُتَعَدِّيَتَيْنِ ولازِمَتَيْنِ، تقول: «نَقَصَ المالُ» هذه لازمة، وقال اللّه تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٤] هذه مُتَعَدِّية.
إذاً نقول: الحروفُ الزائدةُ زائدةٌ زائدةٌ.
٧- **والتكرير**، مثل أن تقول: «قُمْ قُمْ»، أو أن تقول: «جاء زيدٌ جاء زيدٌ»، هذا يُسمَّى توكيداً لفظيّاً، قال ابن مالك:

وما مِنَ التَّوكيدِ لَفظِيٌّ يَجي مُكَرَّراً كقولِكَ: ٱدْرُجِي ٱدْرُجِي

ومنه على قول بعض العلماء: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: ٢٤]، فإنَّ بعض المفسِّرين يقول: معنى ﴿أَلْقِيَا﴾: أَلْقِ أَلْقِ؛ لأنَّ المخاطَبَ واحدٌ، والتثنيةُ للفاعل تثنيةٌ للفعل، هكذا قيل، وقيل: إنَّ ﴿أَلْقِيَا﴾ خطابٌ للمَلَكَيْنِ جميعاً.
٨- **و«قد»**، إذا قلت: «قَدِمَ زيدٌ» هذا غير مُؤَكَّد، «قد قَدِمَ» هذا مُؤَكَّد.
٩- **و«أمّا» الشَّرْطِيَّة**، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضُّحى: ٩-١٠].

الكلام على الإنشاء

الإنشاءُ[١] إمّا طَلَبِيٌ أو غيرُ طَلَبِيٍّ.

- فالطَّلَبِيُّ: ما يَسْتَدْعي مطلوباً غيرَ حاصلٍ وقتَ الطَّلَبِ[*].

- وغيرُ الطَّلَبِيِّ: ما ليس كذلك.

والأوَّلُ[٢] يكون بخمسةِ أشياءَ: الأمر، والنَّهي، والاستفهام، والتَّمَنِّي، والنِّداء.

* * *

(١) الإنشاء ضد الخبر.

(٢) الإنشاء الطَّلَبِيّ.

(*) أي: لا يتحقق مرادُ طالبِه إلا بعد التلفُّظ به، وهذا لا يحصل إلا بعد وقت الطلب.

[١- الأمر]

أمَّا الأمرُ : فهو طَلَبُ الفعلِ على وجه الاستعلاء(١)، وله أربعُ صِيَغٍ:

١- **فعلُ الأمرِ**، نحو: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

٢- **والمضارعُ المقرونُ باللَّام**، نحو: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

٣- **واسمُ فعلِ الأمرِ**، نحو: «حَيَّ على الفلاح».

٤- **والمَصْدَرُ النائبُ عن فعلِ الأمرِ**، نحو: «سَعْياً في الخيرِ»(٢).

---

(١) هنا يَحسُنُ أن يقال: «هو طَلَبُ الفعل على وجه الاستعلاء بصيغةٍ مخصوصةٍ»، ثم نقول الصيغة، فخَرَجَ:
- بقولنا: «طَلَب»: ما ليس بطَلَب.
- وبقولنا: «بطَلَب الفعل»: طَلَبُ التَّرْكِ.
- وبقولنا: «على وجه الاستعلاء»: الالتماسُ والدعاءُ وما كان على غير وجه الاستعلاء، فهذا طَلَبٌ لا على وجه الاستعلاء، فلا يكون أَمْراً(*).

(٢) الآن صار أربع صيغ للأمر:
١- **فعل الأمر**، مثل: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾.
٢- **المضارع المقرون بلام الأمر**، مثل: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾. =

(*) الأمر والنهي يدلان بحسب حال المتكلِّم والمخاطَب على واحد من أربعة أمور، وهذا على النحو الآتي:
١- من الأعلى إلى الأدنى: استعلاء حقيقي.
٢- من المخلوق إلى الخالق: دعاء.
٣- من المخلوق إلى مخلوق أعلى منه: رجاء.
٤- من المخلوق إلى مخلوق يساويه: التماس.

وقد تَخْرُجُ صِيَغُ الأمرِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَرَ، تُفْهَمُ من سياقِ الكلامِ وقرائِنِ الأحوالِ:

١- **كالدُّعاء**، نحو: ﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[١] [النمل: ١٩].

٢- **والالتماس**، كقولك لمَن يُساويك: «أعطني الكتابَ»[٢].

٣- **والتَّمَنِّي**، نحو [الطويل]:

أَلَا أيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ أَلَا انجَلِ بصُبْحٍ، وما الإصباحُ مِنك بِأَمْثَلِ[٣]

٤- **والتهديد**، نحو: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[٤] [فُصِّلَتْ: ٤٠].

= ٣- **اسم فعل الأمر**: وهو ما دلَّ على الطَّلَب على معنى الأمر دون حروفه، يعني: ما يدلُّ على الأمر لكن لا يقبل علامةَ الأمر، كلُّ ما دلَّ على الأمر ولم يقبل علامتَه فهو اسمُ فعلِ أمرٍ، إذاً «حَيَّ على الفلاح» بمعنى: أَقْبِلْ على الفلاح، لو أنَّك أردتَ أن تُدخِلَ علاماتِ الأمرِ على «حَيَّ» ما قَبِلَتْ.

٤- **المصدر النائب عن فعل الأمر**، نحو: «سَعْياً إلى الخير» بمعنى: اسْعَ إلى الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [مُحمَّد: ٤] يعني: فَاضْرِبُوا رقابَهم.

(١) الخِطاب لمَن ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾؟ لِلَّهِ عزَّ وجلَّ، هذا ليس أمراً؛ لأنَّك لا يمكن أن تأمر ربَّك عزَّ وجلَّ، فهو طَلَبٌ لا على وجه الاستعلاء، ومعنى ﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ﴾ أي: أَلْهِمْني أن أشكر نعمتَك.

(٢) هذا ليس أمراً؛ لأنَّ الذي يُساويك لا تأمره، وهو لو يَفهَم أنَّك تأمره لقال: «لا، ما لك عَلَيَّ أمرٌ»، لكن إذا كان التماساً - يعني: بتلطُّفٍ وتَحَنُّنٍ - فإنَّه يعطيك.

(٣) يُقال التمني في خطاب مَن لا يَعقِل، الشاهد في قوله: «انجَلِ»، ولا يمكن أن يقول للَّيلِ -وهو لا يَعقِل-: انجَلِ.

(٤) معلومٌ أنَّ اللَّهَ تعالى لا يقول للناس: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾(*)، بل ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ للتهديد، =

(*) أي: ليس هذا على وجه الإباحة.

٥- **والتعجيز**، نحو [المديد]:

يـا لَبَـكْـرٍ أَنْـشِـرُوا لِيَ كُـلَـيـبـاً يـا لَبَـكْـرٍ أيـنَ أيـنَ الـفِـرَارُ؟(١)

٦- **والتَّسْوِيَة**، نحو: ﴿فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾(٢) [الطور: ١٦].

* * *

= يعني يُهَدِّد البشرَ، والدليل على ذلك قوله تعالى [بعدها]: ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فسوف يَعلَم بكم ويُحاسِبكم.

(١) «أَنْشِرُوا لي كُلَيْباً» يعني: أَحْيُوه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، لا، ما يَستطيعون، فهذا تعجيزٌ وتَحَدٍّ، ومثل قوله تعالى في الصِّيغة الثانية: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨]، والأمثلة كثيرة.

(٢) الدليل على التسوية قوله [بعدها]: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾.

[٢- النهي]

وأمَّا **النَّهْيُ**: فهو طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجهِ الاستعلاء، وله صيغةٌ واحدةٌ: وهي المضارعُ مع «لا» الناهيةِ، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾(١) [الأعراف: ٥٦].

وقد تَخْرُجُ صيغتُه عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَرَ، تُفْهَمُ مِن المقامِ والسِّياقِ:

١- **كالدُّعاء**، نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾(٢) [الأعراف: ١٥٠].

(١) **النَّهي**: طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء بصيغةٍ واحدةٍ، ما له إلا صيغة واحدة، وهي «لا» الناهية، ولهذا «اجْتَنِبْ» «اتْرُكْ» «دَعْ» «تَجَنَّبْ» هذه ليست نهياً مع أنَّها طَلَبٌ للكَفِّ عن الفعل؛ لأنَّ النَّهْيَ له صيغةٌ واحدةٌ مُعَيَّنَةٌ وهي المضارعُ المقرونُ بـ «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، والأمثلة كثيرة.

(٢) قوله: «كالدعاء، نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾»!!!؟، لا يَحْسُنُ المثالُ بهذا(*)، هذه نَعَمْ لو وُجِّهَتْ لِلَّهِ عزَّ وجلَّ لكان صحيحاً؛ لأنَّه جاء في الحديث التعوُّذُ من شماتَة الأعداء(**)، فلو وُجِّهَتْ لِلَّهِ كانت دعاءً، ولكن إذا وُجِّهَتْ للمخلوق الذي هو أعلى منك- وإن كانوا يتساهلون يقولون: دعاء- فلا ينبغي، بل ينبغي أن يُقال: إنَّه تَرَجٍّ =

(*) لأنَّ الخطاب - هنا - من هارون إلى موسى عليهما السلام، كما دلَّ عليه سياقُ الآية: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾، فهو تَرَجٍّ وليس دعاءً.

ومِمَّا يدعو إلى الأسى أنَّ مُحَقِّقاً لهذا المتن (طبعة دار إيلاف) أتى بثالثة الأثافي في تعليقه على هذه الآية - وليتَهُ لم يُعَلِّق -، فبَدَلَ أن يُبَيِّنَ خطأَ المؤلِّفينَ علَّق بقوله: «(لا) هنا هي (لا) الناهية، ولكنها تسمى (لا) الدعائية؛ تأدُّباً مع المدعو، وهو اللَّه عز وجل»!!! (ص٣٦)، ولا أقول هذا تتبُّعاً للزَّلَّات؛ ولكن لِأَلْفِتَ نَظَرَ القارئِ العزيز إلى أمرَين:

١- أنَّه حيثما وُجِدَ مثلُ هذا الوهم وَجَبَ على قارئه التنبيهُ عليه؛ لأنَّ الأمرَ متعلِّقٌ باللَّه عزَّ وجلَّ.

٢- دِقَّة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ وسرعة استدراكه لمثل هذا الوهم الخَفِيِّ.

(**) روى البخاري (٨٢/ ١٣) ومسلم (٤٨/ رقم: ٥٣) في صحيحَيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِن جَهْدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسُوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ»، واللفظ للبخاري.

٢- **والالتماس**: كقولِك لمَن يُساويك: «لا تَبْرَحْ مِن مكانِك حتَّى أَرْجِعَ إليك».

٣- **والتَّمَنِّي**، نحو: (لا تَطْلُعْ) في قوله [مجزوء الرَّجَز]:

يـا لـيـلُ طُـلْ، يـا نَـوْمُ زُلْ يـا صُـبْـحُ قِـفْ، لا تَـطْـلُعِ

٤- **والتهديد**، كقولِك لخادمِك: «لا تُطِعْ [غَيْرِي](*)»(١).

* * *

= أو نحو ذلك، لكن إذا وُجِّهَتْ لِلَّهِ مثل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ هذا دعاء، يعني يَحْسُنُ أن نُمَثِّلَ بَدَلَ هذه الآيةِ بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

(١) ومن ذلك أيضاً قولُه تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، هذا تهديد ليس للرسول ﷺ، تهديد لهؤلاء الذين يتقلَّبون في البلاد، ولهذا قال [بعدها]: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

(*) في الأصل: «لا تُطِعْ أَمْرِي»!!.

[٣- الاستفهام]

وأمَّا **الاستفهامُ**: فهو طَلَبُ العِلْمِ بشيءٍ[١]، وأدواتُه: الهمزة، و«هل»، و«ما»، و«مَن»، و«مَتى»، و«أيَّانَ»، و«كَيفَ»، و«أَيْنَ»، و«أنَّىٰ»، و«كَمْ»، و«أَيّ»[٢].

١- فالهمزةُ لِطَلَبِ التصوُّرِ أو التصديقِ:

والتصوُّرُ: هو إدراكُ المُفرَدِ، كقولك: «أعليٌّ مسافرٌ أَمْ خالدٌ»؟ تَعْتَقِدُ أنَّ السَّفَرَ حَصَلَ مِن أحدِهما ولكن تَطْلُبُ تعيينَه، ولِذا يُجابُ بالتعيين، فيُقال: «عليٌّ» مثلًا.

---

(١) الاستفهام أصله: طَلَبُ الفَهْم، أو: طَلَبُ الإفهام، أي: الإعلام بالشيء، فإذا قلت: «هل قام زيد؟» فالمعنى: أَعْلِمْني هل قام زيد، فهو طَلَب الإعلام بالشيء، وهذا التفسير أدقُّ من تفسير المؤلِّف [الذي هو]: «طَلَب العِلْم»؛ لأنَّ مَن يُطالِع الكتبَ ليتَعَلَّمَ يقال: إنَّه طالب عِلْم، ولا يقال: مُستَفهِم، فالأحسن أن يقال: الاستفهام: طَلَبُ الإعلامِ بالشيء.

(٢) هذه الأدوات تأتي استفهاميَّةً وغيرَ استفهاميَّةٍ، لكنْ هي من أدوات الاستفهام:

١- **الهمزة** -وهي الأصل-: أقائِمٌ زيدٌ؟

٢- **هل**: هل قام زيدٌ؟

٣- **ما**: ما هذا؟

٤- **مَن**: مَن القائِمُ؟

٥- **أيَّانَ**: أيَّانَ تقوم؟

٦- **كيف**: كيف جاء زيدٌ؟

٧- **أين**: أين تنزِل؟

٨- **أنَّىٰ**: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الدُّخان: ١٣].

٩- **كم**: كم مالُك؟

١٠- **أيّ**: أيُّ الرجلَين قائمٌ؟.

والتصديقُ: هو إدراكُ النِّسبةِ، نحو: «أسافَرَ عليٌّ»؟ تَستفهِم عن حُصولِ السَّفرِ وعَدَمِه، ولِذا يُجابُ بـ «نَعَمْ» أو «لا»(١).

والمسؤولُ عنه في التصوُّر: ما يلي الهمزةَ، ويكون له مُعادِلٌ يُذكَرُ بعد «أَمْ»، وتُسمَّى: مُتَّصِلَةً، فتقول في الاستفهامِ:

- عن المُسنَد إليه: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أَمْ يوسُفُ»؟
- وعن المُسنَد: «أراغِبٌ أنتَ عن الأمْر أَمْ راغِبٌ فيه»؟(٢)

---

(١) هذه المسألة مُهِمَّة: التصوُّر أو التصديق، التصوُّر: تصوُّرُ الشيء، والتصديق: الحُكْمُ عليه، فالتصديق بمعنى الحُكْم، والتصوُّر إدراكُ الشيء، فمُجَرَّدُ الإدراكِ تصوُّرٌ، والحُكْمُ على الشيء تصديقٌ.

المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «إدراك المفرد، كقولك: أعليٌّ مسافِرٌ أم خالدٌ؟»، الآن هل أنت شاكٌّ في السفر أو في المسافِر؟ في المسافِر، الحُكْمُ - وهو السفر - معلومٌ عندك، لكن مَن المسافر؟، إذا كنتَ تَطْلُبُ تعيينَ المسافِرِ وأنت عارف أنَّ السَّفَرَ حاصِلٌ فهذا يُقال: إنَّه استفهامُ تَصوُّرٍ، يعني لمعرفة مَن الفاعل، فيُجاب بالتعيين، فيُقال: إما علي وإما خالد.

والتصديقُ: إدراك النِّسبة، يعني: الحُكْم، تَستفهِم عن الحُكْم، يعني عن نسبة الشيء إلى الشيء، فأنت تعلم أنَّه لا يُوجَد في الساحة إلا عليٌّ، لكن لا تدري أسافَرَ أم هو مقيمٌ، فتقول: «أسافَرَ عليٌّ؟»، الشَّكُّ الآن أو الجهلُ بالسفر هل حَصَلَ أم لا، أمَّا المسافر فإنَّه معلومٌ أنَّه لن يُسافِرَ إلا فلانٌ، مثلًا تقول: «أَقَدِمَ الأميرُ؟» هذا تصديق؛ لأنَّك تطلب هل قَدِمَ أم لم يَقْدُم، ولهذا يكون الجواب بـ «نَعَمْ» أو «لا» بخلاف الأول، الأول: الجواب بالتعيين، والثاني: الجواب بالنفي أو الإثبات.

(٢) المسؤول عنه في التصوُّر: ما يلي الهمزة، والتصوُّر المطلوبُ فيه التعيينُ، المسؤول عنه يلي الهمزة وله مُعادِلٌ، فتقول: «أأنت فَعَلْتَ هذا أَمْ يوسُفُ»؟ الجواب: «يوسف» أو «أنت»، ولهذا يُذكَر ما يُعادِلُها، وتُسمَّى هذه مُتَّصِلَةً، أمَّا إذا كان عن المُسنَد فأنت =

- وعن المفعول: «أَإِيَّايَ تَقْصِدُ أَمْ خالداً»؟

- وعن الحال: «أراكِباً جِئْتَ أَمْ ماشِياً»؟

- وعن الظَّرْف: «أيَوْمَ الخميسِ قَدِمْتَ أَمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ»؟، وهكذا.

وقد لا يُذكَرُ المُعادِلُ، نحو: «أأنت فَعَلْتَ هذا»؟، «أراغِبٌ أنت عن الأمْرِ»؟، «أَإِيَّايَ تَقْصِدُ»؟، «أراكِباً جئْتَ»؟، «أيَوْمَ الخميسِ قَدِمْتَ»؟(١).

والمسؤولُ عنه في التصديقِ: النِّسبةُ، ولا يكون لها مُعادِلٌ، فإن جاءَتْ «أَمْ» بعدها قُدِّرَتْ مُنْقَطِعَةً وتكون بمعنى «بَلْ»(٢).

= تَذكُر الحُكْمَ، الذي يلي الهمزة هو الحُكْمُ، تقول: «أمسافِرٌ أنت أَمْ مُقيمٌ»؟، وتقول «أراغِبٌ أنت عن الأمر أَمْ راغِبٌ فيه»؟، بينهما فَرْق، «أراغِبٌ أنت عنه أَمْ فيه» [ما] الفرق؟

الطالب: أراغب فيه: تَطْلُبُه، أراغب عنه: زاهد عنه.

الشيخ: أي: تتركه.

(١) الآن قد لا يُذكَر المعادِلُ، لكنَّ حذفَه مشروطٌ بأن يكون مفهوماً، مثلًا إذا قلت: «أراكِباً جِئْتَ» ما ضِدُّه؟ «أَمْ ماشياً».

على كلِّ حالٍ يُشتَرَطُ لِحذفِ المُعادِلِ أن يكون معلوماً، فإن كان غيرَ معلومٍ فإنَّه لا يجوز حذفُه، وقد أشار ابنُ مالك إلى هذه القاعدة في قوله:

وحَذْفُ ما يُعْلَمُ جائِزٌ ...

(٢) المسؤولُ عنه في التصديق: النِّسبةُ، يعني: الحُكْمُ، ولا يُذكَر معها معادِلٌ، فإن ذُكِرَ مُعادِلٌ فإنَّها تكون مُنْقَطِعَةً تقديراً وتكون بمعنى «بل»، وهذا كثير في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، الأمثلة في هذا كثيرة.

٢- و«**هَلْ**» **لِطَلَبِ التصديقِ فقط**، نحو: «هل جاءَ صديقُك»؟ والجوابُ: «نَعَمْ» أو «لا»، ولِذا يَمتنِعُ معها ذِكْرُ المعادِلِ، فلا يقال: «هل جاء صديقُك أَمْ عدوُّك»؟[١].

و«هل» تُسمَّى:

- **بَسيطةً**: إنِ استُفْهِمَ بها عن وجودِ شيءٍ في نَفْسِه، نحو: «هل العَنْقَاءُ موجودةٌ»؟

- **ومُرَكَّبَةً**: إنِ استُفْهِمَ بها عن وجودِ شيءٍ لشيءٍ، نحو: «هل تَبيضُ العَنْقَاءُ وتُفَرِّخُ»؟[٢].

٣- **و«ما» يُطلَبُ بها:**

- **شَرْحُ الاسمِ**، نحو: «ما العَسْجَدُ أو اللُّجَيْنُ»؟

- **أو حقيقةُ المُسَمَّى**، نحو: «ما الإنسانُ»؟

- **أو حالُ المذكورِ معها**، كقولك لقادِمٍ عليك: «ما أنت»؟[٣].

---

(١) ماذا يقال إذا كنتَ تريد أن تَستفهِم هل جاء عدوُّه أو صديقُه؟ يُؤتَى بالهمزة، فتقول: «أجاء صديقُك أَمْ عدوُّك»؟

(٢) إذا كان المقصودُ الاستفهامَ بها عن وجودِ الشيءِ فهذه تُسمَّى: **بسيطةً**؛ لأنَّها استفهامٌ عن شيءٍ مُعيَّنٍ، أمَّا إذا استُفْهِمَ عن صِفَةٍ في شيءٍ فإنَّها تُسمَّى: **مُرَكَّبَةً**، مثل: «هل تَبيضُ العَنْقاءُ وتُفَرِّخُ»؟.

حَسَناً، لو قلت: «هل اصْفَرَّ النخلُ أو احْمَرَّ؟» بسيطة أو مُرَكَّبة؟ مُرَكَّبة، «هل الثمرةُ موجودةٌ؟» بسيطة.

(٣) **يُطلَبُ بها:**

=

٤- و«مَن» **يُطلَبُ بها تعيينُ العُقَلاءِ**، كقولك: «مَن فَتَحَ مِصْرَ»؟[١].

٥- و«مَتَى» **يُطلَبُ بها تعيينُ الزمانِ**، ماضِياً كان أو مُستقبَلًا، نحو: «متى جِئْتَ»؟، و«متى تذهب»؟.

٦- و«أيَّانَ» **يُطلَبُ بها تعيينُ الزمانِ المُستقبَلِ خاصَّةً**، وتكون في موضع التَّهويل، كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦].

٧- و«كَيفَ» **يُطلَبُ بها تعيينُ الحالِ**، نحو: «كيف أنت»؟.

٨- و«أَينَ» **يُطلَبُ بها تعيينُ المكانِ**، نحو: «أين تذهب»؟.

٩- و«أَنَّىٰ» **تكون بمعنى «كيف»**، نحو: ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، **وبمعنى «مِن أين»**، نحو: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾[٢] [آل عمران: ٣٧]، **وبمعنى «متى»**، نحو: «أَنَّىٰ تكون زيادةُ النِّيلِ»؟.

= - **شَرْحُ الاسم**: نحو: «ما العَسْجَدُ؟» الجواب: الذَّهَبُ، «ما اللُّجَيْنُ»؟: الفِضَّةُ.
- **حقيقةُ المُسَمَّى**: «ما الإنسانُ؟» حيوانٌ ناطِقٌ، هذه حقيقة الإنسان؛ فـ«حيوان» تَشمَل كلَّ ما في الحياة مِن البهائِم والإنسانِ، «ناطِق»: تُخرِجُ البهائِمَ؛ لأنَّها غيرُ ناطِقة، والمرادُ غيرُ ناطِقةٍ نُطْقاً مفهوماً، وإلا فهي ناطِقةٌ كما قال اللّهُ تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

- **أو حالُ المذكور معها**: كقولك لقادِمٍ عليك: «ما أنت؟»، ماذا يكون الجواب؟ «صديق»، لا تقل: «فلان»؛ فلان للتعيين، إذا أراد أن يَعرِف اسمَه يقول: «مَن أنت؟»، لكن إذا قال: «ما أنت؟» يَستفهِم عن حاله لا عن عينِهِ، يستفهم عن حاله هل هو صديق هل هو عدوّ، ماذا يقول إذا قال: «ما أنت»؟، يقول: «صديق»، إذا كان بينه وبينه نَسَبٌ يقول: «قريب»، إذا أراد أن يُحدِّدَ النَّسَبَ يقول: «ابن عمِّك»، وما أشبه ذلك.

(١) الجواب: عَمْرُو بن العاص.
(٢) ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ يعني: مِن أين لكِ؟

١٠- و«كَمْ» يُطلَبُ بها تعيينُ عَدَدٍ مُبْهَمٍ: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

١١- و«أَيّ» يُطلَبُ بها تمييزُ أحدِ المُتشارِكَينِ في أمرٍ يَعُمُّهما، نحو: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، ويُسأَل بها عن الزمانِ، والمكانِ، والحالِ، والعَدَدِ، والعاقلِ وغيرِهِ، حَسَبَ ما تُضافُ إليه[(١)].

وقد تَخْرُجُ ألفاظُ الاستفهامِ عن معناها الأصليِّ لمعانٍ أُخْرَى، تُفهَم مِن سياقِ الكلامِ:

١- كالتَّسوِيَة، نحو: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾[(٢)] [البقرة: ٦].

٢- والنَّفي، نحو: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[(٣)] [الرحمن: ٦٠].

٣- والإنكار، نحو: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾[(٤)] [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[(٥)] [الزُّمَر: ٣٦].

---

(١) فتقول للزمان: «أيَّ يومٍ تسافِرُ»؟، وتقول في المكان: «أيَّ بيتٍ تَسكُنُ»؟، وتقول في الحال: «أيَّ حالٍ تأتيَ إلَيَّ فيها»؟، والعدد: «أيَّ عَدَدٍ تملكه من الإبل»؟، والعاقل وغيره، حَسَبَ ما تُضاف إليه.

(٢) قال النَّحْويُّون الذين يُعربون: إنَّ ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ استفهامٌ، لكنَّه يُسبَك وما بعده بمَصْدَرٍ، مع أنَّ الهمزةَ ليست حرفاً مَصْدَرِيّاً، لكن هذا التركيب يُسبَك ما بعد الهمزة بمصدر، فيكون التقدير: «إنذارُك وَعَدَمُه سواءٌ عليهم»، وعلى هذا فتكون ﴿سَوَاءٌ﴾ خبراً مُقَدَّماً، و﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ مَسبوكةً بمصدرٍ مبتدأ مُؤَخَّر.

(٣) والدليل على أنَّ الاستفهام للنفي هنا أنَّها أَتَتْ «إلَّا».

(٤) هذا للإنكار، ولكنَّه إنكارٌ بمعنى التوبيخ.

(٥) أمَّا قوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ففي التمثيل به نَظَرٌ؛ لأنَّ هذا الاستفهامَ للتقرير، يعني: إنَّ اللَّهَ كافٍ عبدَه، لكنْ وجهُ كلامِ المؤلِّفِ أنَّ إنكارَ النفيِ إقرارٌ، إذا أَنْكَرْتَ =

٤-**والأمر**، نحو: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(١) [المائدة: ٩١]، ونحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾(٢) [آل عمران: ٢٠]، أي: انْتَهُوا وأَسْلِمُوا.

٥ - **والنَّهي**، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾(٣) [التوبة: ١٣].

٦ - **والتشويق**، نحو: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٤) [الصف: ١٠].

= النفيَ فهو إقرارٌ، يعني المؤلِّف كأنَّه يقول: الهمزة هنا دَخَلَتْ على النفي فهي لإنكار النفي، وإنكارُ النفيِ إقرارٌ، هذا وجهُ كلام المؤلِّف، لكنْ غيرُه مِن المُعْرِبينَ يقولون: الاستفهام هنا للتقرير، مثل قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

(١) جاءَتْ ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ في تحريم الخمر والمَيْسِر والأنصاب، فإنَّ اللَّهَ تعالى قال: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ أي: فَبَعْدَ هذا التقريرِ هل أنتم مُنْتَهُون أو لستُم بمُنْتَهِين؟ قال الصحابةُ: «انتهينا انتهينا»(*)، المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أنَّ الاستفهامَ هنا بمعنى الأمر، أي: فَانْتَهُوا.

(٢) ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ يقول المؤلِّف: «إنَّها بمعنى: أَسْلِمُوا»، ولكنْ في هذا نَظَرٌ، بل المعنى: أَأَسْلَمْتُم بعد هذا البيانِ أم لم تُسْلِمُوا؟، أمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فهذه هي التي يصلح أن تقول: [إنَّها] بمعنى: «فَأَسْلِموا».

(٣) يعني: «لا تَخْشَوْهُم»، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

(٤) ومثل ذلك أيضاً: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، مع أنَّ هذه الثانية يُحْتَمَلُ أن تكون للتعظيم، يعني: أنَّه حديث عظيم.

(*) لَمَّا نَزَلَ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ دُعِيَ عمرُ بنُ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقُرِئَتْ عليه؛ لأنَّه دعا اللَّهَ عزَّ وجلَّ أن يُبَيِّنَ لهم في الخمر بيانَ شفاءٍ، فقال: «انتهَينا انتهَينا»، رواه أبو داود (٢٠/١)، والترمذي (٤٨/٦)، والنسائي (٥٢/١)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٦/٢).

٧- **والتعظيم**، نحو: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[١] [البقرة: ٢٥٥].

٨- **والتحقير**، نحو: «أهذا الذي مَدَحْتَه كثيراً»؟[٢].

* * *

(١) التعظيمُ هنا تعظيمُ المشفوعِ إليه، نَعَمْ، تعظيمُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، أنَّه لعظمته لا أحد يستطيع أن يَشفَع إلا بإذنِ اللَّهِ.

(٢) ومنه قوله تعالى عن المشركين: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، يعني: يَسُبُّها ويَعيبُها، يعني كأنَّهم يقولون: هو أحقر مِن أن يَسُبَّ آلهتَهم ويَعيبَها.

[٤ - التَّمَنِّي]

وأمَّا التَّمَنِّي: فهو طَلَبُ شيءٍ محبوبٍ لا يُرْجَى حصولُهُ لِكَوْنِه مُستَحيلًا أو بَعيدَ الوُقوعِ، كقولِهِ [الوافر]:

أَلا لَيتَ الشَّبابَ يَعودُ يَوماً فَأُخبِرَهُ بما فَعَلَ المَشيبُ [١]

وقولِ المُعْسِرِ: «ليت لي أَلْفَ دينارٍ» [٢].

وإذا كان الأمرُ مُتَوَقَّعَ الحصولِ فإنَّ تَرَقُّبَه يُسمَّى **تَرَجِّياً**، ويُعَبَّرُ عنه بـ «عسى» و«لعلّ»، نحو: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [٣] [الطلاق: ١].

وللتمنّي أربعُ أدواتٍ:

- واحدةٌ أصليَّةٌ وهي: «**ليت**».

- وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ وهي:

---

(١) يعني في الدنيا لا يمكن أن يعود الشباب، لكن لو فُرِضَ أنَّ الإنسانَ فَقَدَ قوَّتَه - لضعفٍ لا لِكِبَرِ سِنٍّ - هل يمكن أن تعود القَوَّةُ؟ نَعَمْ يمكن، بالشفاء من هذا المرض يمكن أن تعود.

(٢) و[هل] هذا مستحيل؟ بَعيدُ الوقوع، لكن قد يقع، رُبَّما يموت للمُعْسِرِ ابنُ عمٍّ عنده ملايين الدنانير، ولا يَرِثُه إلا هذا الفقيرُ، بين عَشِيَّةٍ وضحاها يكون عنده ملايين، أليس كذلك؟، إذاً ليس بمستحيل أن يَرْزُقَ اللّهُ عزَّ وجلَّ الفقيرَ أَلْفَ دينارٍ بين عَشِيَّةٍ وضحاها، لكنَّه بَعيدٌ.

(٣) إذاً الفَرْقُ بين الترجِّي والتمنّي أنَّ:
- **الترجِّي** فيما يُتَرَقَّبُ حصولُه.
- **والتمنّي** عَكْسُ ذلك، فيما لا يُتَرَقَّبُ وقوعُه، إمَّا لكونه مستحيلًا وإمَّا لكونه بَعيدَ المَنالِ.

١ - «هَلْ»، نحو: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ﴾[١] [الأعراف: ٥٣].

٢ - و«لَوْ»، نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] [الشعراء: ١٠٢].

٣ - و«لعلَّ»، نحو قولِهِ [الطويل]:

أَسِرْبَ القَطَا! هل مَن يُعيرُ جناحَهُ لَعَلِّي إلى مَن قد هَوِيتُ أَطيرُ[٣]

ولاستعمالِ هذه الأدواتِ في التمنِّي يُنْصَبُ المضارعُ الواقِعُ في جوابِها[٤].

* * *

(١) «هل» هنا للتمنِّي، يعني: يَتَمَنَّوْنَ أن يكون لهم شفعاء فيشفعوا لهم عند الله.

(٢) يعني: يَتَمَنَّوْنَ أن يكون لهم رجعة إلى الدنيا ليكونوا من المؤمنين.

(٣) هذا إنسان مشتاقٌ إلى أهله أو إلى معشوقتِه - الله أعلم - مرَّ به سِرْبٌ من القطا، فقال يُخاطِب القطا:

أَسِرْبَ القَطَا! هل مَن يُعيرُ جناحَهُ لَعَلِّي إلى مَن قد هَوِيتُ أطيرُ

هذا تَمَنٍّ؛ لأنَّه يَستحيل أن تَنزِلَ قَطاةٌ تقول: «خُذْ جناحي طِرْ به»، لا يمكن هذا.

(٤) كلُّ مضارعٍ يقع جواباً للتمنِّي أو الترجِّي فإنَّه يكون منصوباً.

[٥ - النِّداء]

وأمَّا **النِّداءُ**: فهو طَلَبُ الإقبالِ بحرفٍ نائبٍ مَنابَ «أَدْعُو».

وأدواتُه ثمانٍ: «يا»، والهمزةُ، و«أيْ»، و«آ»، و«آيْ»، و«أيَا»، و«هَيَا» و«وَا»(١)، فالهمزةُ و«أيْ» للقريب، وغيرُهما للبعيد.

وقد يُنَزَّلُ البعيدُ مَنزِلَةَ القريبِ، فيُنادَى بالهمزة و«أيْ» إشارةً إلى أنّه لِشِدَّةِ استحضارِهِ في ذِهْنِ المُتكلِّم صارَ كالحاضرِ معه، كقولِ الشاعرِ [الطويل]:

أَسُكَّانَ نَعْمانِ الأَراكِ! تَيَقَّنُوا بأنَّكُمُ في رَبْعِ قلبيَ سُكَّانُ(٢)

وقد يُنَزَّلُ القريبُ مَنزِلَةَ البعيدِ، فيُنادَى بأحدِ الحروفِ الموضوعةِ له إشارةً إلى أنَّ المُنادَى عظيمُ الشَّأنِ، رفيعُ المرتبةِ، حتى كأنَّ بُعْدَ درجتِه في العِظَمِ عن درجةِ المتكلِّم بُعْدٌ في المسافةِ، كقولك: «أيَا مَوْلايَ!» وأنت معه، أو إشارةً إلى انحِطاطِ درجتِهِ، كقولك: «أَيَا هذا!» لمَن هو معك، أو إشارةً إلى أنَّ السامعَ غافِلٌ لِنَحْوِ نومٍ أو ذُهُولٍ كأنَّه غيرُ حاضرٍ في المجلس، كقولك للساهي: «أيَا فلان!»(٣).

* * *

(١) لو قال المؤلِّف: «النداءُ: طَلَبُ الإقبالِ بـ «يا» أو إحدى أخواتِها» لكان أوضح.
أدواتُه ثمانٍ، لكنَّ «وَا» تأتي في النُّدبة، يعني: يندُب الإنسانُ ميتاً أو ما أشبه ذلك، يأتي بـ«وَا»، ثم فصَّلَ المؤلِّفُ.

(٢) هنا يخاطِب أُناساً بعيدينَ: «أَسُكَّانَ نَعمانِ الأراكِ»، لكنَّه لِشِدَّةِ استحضارِه إيَّاهم ناداهم مُنادَى القريبِ.

(٣) قد يُنَزَّلُ القريبُ مَنزِلَةَ البعيدِ لأسبابٍ، إمَّا:
١- لِعُلُوِّ المرتبةِ.
=

[الإنشاء غير الطلبي]

وغيرُ الطَّلَبِيِّ يكون بالتعَجُّبِ، والقَسَمِ، وصِيَغِ العُقودِ كـ «بِعْتُ» و«اشتريتُ»، ويكون بغير ذلك.

وأنواعُ الإنشاءِ غيرِ الطَّلَبِيِّ ليست من مباحثِ عِلْمِ المعاني؛ فلذا ضَرَبْنا صَفْحاً عنها[1].

* * *

= ٢ - أو لِدُنُوِّ المرتبةِ.
٣ - أو لِغفلَتِه .
٤ - أو لبلاهَتِه، أو ما أشبه ذلك.

ولهذا إذا فَهَّمْتَ رَجُلًا مسألةً من المسائل وعَجِزَ أَلَّا يَفْهَم تقول: «يا رجل! هذا هو المقصود، يا رجل! افْهَمْ»، وهو عندك، لا تقل «أَرَجُلُ» لا، [بل] تقول: «يا رَجُلُ»؛ لأنه لِبلاهَتِهِ صار كأنَّه بعيدٌ.

وقد يُنَزَّلُ القريبُ مَنْزِلَةَ البعيدِ، أو البعيدُ مَنْزِلَةَ القريبِ؛ وذلك حَسَبَ السياق.

(١) الإنشاء غير الطَّلَبِيّ يكون:
- **بالتعجُّب**، مثل: «ما أحسنَ زيداً»، ومثل قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨].
- **بالقَسَم**؛ لأنَّ القَسَمَ إنشاءٌ: «واللَّهِ لأَفْعَلَنَّ»، هذا إنشاءُ قَسَمٍ، ليس خبراً عن قَسَم، بل هو إنشاءُ قَسَم.
- **وصِيَغ العُقودِ** كـ «بِعْتُ» «طَلَّقْتُ» «وَقَّفْتُ» «رَهَنْتُ»، هذه ليست أخباراً، هذه إنشاء؛ لأنَّها عَقْدٌ من الآن، لكنَّها في الواقع إخبارٌ عمَّا في نَفْسِ العاقِدِ، فإذا قلت: «طَلَّقْتُ زوجتي» هل تَطْلُق؟ إن كان خبراً عن الماضي نَظَرْنا هل طلَّق أو ما طلَّق، وإن كان إنشاءً للطلاق الآن طَلَقَتْ.

كذلك لو قلت: «بِعْتُ بيتي عليك»، إذا كان إنشاءَ عقدٍ من الآن فليس خبراً، بل هو إنشاء، ماذا يقول الثاني؟ «قَبِلْتُ»، إذا كان خبراً- يعني: بِعْتُه أمسِ- ماذا يقول الثاني؟ «صَدَقْتَ» أو «كَذَبْتَ»، الأول يكون إنشاءً وعَقْداً إذا قَبِلَ المخاطَبُ تَمَّ البيعُ، والثاني يكون خبراً إن كان قد وقع أمس بيعٌ فهو بيعٌ وإلَّا فلا.

الباب الثاني

في

الذِّكْرِ والحَذْفِ

الذِّكر والحذف

إذا أُريدَ إفادةُ السامعِ حُكماً فأيُّ لفظٍ يَدُلُّ على معنىً فيه فالأصلُ ذِكْرُه، وأيُّ لفظٍ عُلِمَ مِن الكلامِ لِدَلالةِ باقِيهِ عليه فالأصلُ حذفُه، وإذا تعارَضَ هذانِ الأصلانِ فلا يُعْدَلُ عن مُقْتَضَى أحدِهما إلى مُقْتَضَى الآخَرِ إلا لداعٍ(١).

فمِن دواعي الذِّكرِ:

١- **زيادةُ التقريرِ والإيضاحِ**، نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢) [البقرة: ٥].

٢- **والتسجيلُ على السامعِ** حتى لا يَتَأَتَّى له الإنكارُ، كما إذا قال الحاكِمُ لشاهدٍ: «هل أَقَرَّ زيدٌ هذا بأنَّ عليه كذا»؟ فيقول الشاهدُ: «نَعَمْ، زيدٌ هذا أَقَرَّ بأنَّ عليه كذا»(٣).

---

(١) الأصلُ فيما يُراد إفهامُه: الذِّكْرُ؛ لأنَّ المحذوفَ الأصلُ فيه عدمُ العِلْمِ فالأصلُ الذِّكْرُ(*)، وإذا كان ذِكْرُ الشيءِ لا فائدةَ منه فالأصلُ الحذفُ ولا يُذكَر إلا لفائدةٍ، يعني: إذا كان معلوماً مِن السياق فالأصلُ حذفُه ولا يُذكَر إلا لفائدةٍ؛ وذلك لأنَّ ذِكْرَه مع العِلْمِ به تَطْويلٌ بلا فائدة، إذا تعارَضَ هذا وهذا فإنَّ الأصلَ ذِكْرُ ما يحتاج إلى ذِكْر، وحذفُ ما يحتاج إلى حذف.

(٢) الشاهدُ قولُه: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾، لو قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ كفى؛ لأنَّ كلَّ مَن كان على هدى مِن ربِّه فهو مُفْلِحٌ، لكنْ خَتَمَها بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

(٣) لا يحتاج إلى « [زيدٌ] هذا» إلا مِن أجل أن يُسجَّل على السامعِ حتى لا يُنْكِرَ ويقولَ: «إنّي أردتُ زيداً غيرَ هذا».

(*) لانعدامِ القرينةِ الدالَّةِ عليه عند حذفِه.

ومِن دواعي الحذفِ:

١- إخفاءُ الأمرِ عن غيرِ المُخاطَبِ، نحو: «أَقْبَلَ»، تريد «عَلِيّاً» مثلاً[١].

٢- وضِيقُ المقامِ:

أ - إمَّا **لِتَوَجُّعٍ**، نحو [الخفيف]:

قال لي: «كيف أنتَ؟» قُلْتُ: «عَليلُ سَهَرٌ دائِمٌ و حُزْنٌ طويلُ»[٢]

ب - وإمَّا **لِخَوْفِ فَواتِ فرصةٍ**، نحو قولِ الصَّيَّادِ: «غزالٌ!!»[٣].

٣- والتعميمُ باختصارٍ، نحو: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥].

---

(١) صحيح، من دواعي الحذفِ هو ما ذَكَرَه: إخفاءُ الأمرِ، تقول: «أَقْبَلَ»، تقول: «سَرَقَ» ولا تَذْكُر السارقَ، تقول: «سُرِقَ المتاعُ» ولا تَذْكُر السارقَ.

(٢) هذا سُئِلَ: «كيف أنتَ؟» قال: «عليل مريض»، فسَّرَه بقوله: «سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طويلٌ»، اللّهم أَعِذْنا من ذلك .

المحذوفُ: «قلتُ: أنا عليل، حالي سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طويلٌ»، فحُذِفَ المبتدأُ في كِلْتا الجملتين:

- الأول التقدير: «أنا عليلٌ»، لكن قال «عليل» لأجل أن يُبادِرَ المُتكلِّمَ بذِكْرِ الحال.

- وأيضاً «سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طويلٌ» هذا مثلُه، والتقدير: «حالي سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طويلٌ»، فحَذَفَها حتى يُبَيِّنَ سببَ عِلَّتِه مِن أوَّلِ وَهْلَةٍ.

(٣) الصَّيَّاد يريد أن يَصيدَ، فيقال له: «غزال غزال!!»، لا يقال: «انْظُرْ إلى الغزال يمشي على يمينك أو على يسارك»، لو كان يتكلَّم هذا الكلام تفوتُ الفرصة، أو مثلًا الصَّيَّاد يريد أن يصيد والسلاحُ عنده، فيأتي مُسرِعاً ويقول: «غزال غزال!!» لا يقول: «رأيتُ غزالًا يمكن أن أرميَه فأُوثِقَه»، ما يحتاج، المُهِمُّ إذا خاف فواتَ الفرصةِ فإنَّه يُحْذَف، «غزال» تقديرها: هذا غزالٌ.

أي: جميعَ عِبادِه؛ لأنَّ حَذفَ المعمولِ يُؤْذِنُ بالعمومِ[١].

٤- وتنزيلُ المُتعدِّي مَنْزِلَةَ اللَّازِمِ[*] لعدم تعلُّقِ الغَرَضِ بالمعمولِ، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢] [الزُّمَر: ٩].

ويُعَدُّ مِنَ الحذفِ إسنادُ الفعلِ إلى نائِبِ الفاعلِ، فيُقال: حُذِفَ الفاعِلُ للخَوْفِ منه أو عليه، أو للعِلْمِ به، أو الجهلِ، نحو: «سُرِقَ المتاعُ»، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٣] [النساء: ٢٨].

* * *

(١) ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ مَن يدعو؟ جميعَ العِباد، ولهذا في الهداية قال: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، الدعوة عامة، والهداية خاصة.

(٢) المُتعدِّي: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ و﴿يَعْلَمُونَ﴾: هل يستوي الذين يَعلَمون العِلْمَ أو يَعلَمون الشيءَ والذين لا يَعلَمونه، حُذِفَ لعدم تعلُّقِ الغَرَضِ بالمعمول؛ لأنَّ الغَرَضَ هو العِلْمُ إثباتاً أو نَفْياً.

(٣) «سُرِقَ المتاعُ» للخوف منه أو عليه؟ يحتمل أنَّه أخفاه:
- للخوف عليه أنَّك تأخذه للصدقات وتُعَزِّره.
- للخوف منه لو أَعْلَمَ بالسارق، خَشِيَ من السارق، هذا الخوف منه.
- للجهل إذا كان لا يدري.
- أمَّا ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ فلِلْعِلْمِ به؛ لأنَّه لا خالِقَ إلا اللَّه.

(*) وذلك بعدم ذِكْرِ المعمول.

الباب الثالث

في

التقديم والتأخير

التقديم والتأخير

مِن المعلوم أنَّه لا يُمْكِنُ النُّطْقُ بأجزاءِ الكلام دَفْعَةً واحدةً، بل لا بُدَّ مِن تقديم بعضِ الأجزاءِ وتأخيرِ البعضِ، وليس شيءٌ منها في نَفْسِه أَوْلَى بالتقدُّم مِن الآخَرِ؛ لاشتراكِ جميعِ الألفاظِ- مِن حيثُ هي ألفاظٌ - في درجةِ الاعتبارِ، فلا بُدَّ لتقديم هذا على ذاك مِن داعٍ يُوجِبُه[١]، **فمِن الدَّواعي**:

١- **التشويقُ إلى المُتأَخِّرِ إذا كان المُتَقَدِّمُ مُشعِراً بغَرَابَةٍ**، نحو [الخفيف]:

وَالَّذي حارَتِ البَرِيَّةُ فيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِن جَمَادِ[٢]

٢- **وتعجيلُ المَسَرَّةِ أو المَساءَةِ**، نحو: «العَفْوُ عنك صَدَرَ به الأمرُ»، أو: «القِصاصُ حَكَمَ به القاضِي»[٣].

(١) التقديم والتأخير- من حيث الكلمات - ليستْ هذه الكلمةُ بأَوْلَى بالتقديم من هذه الكلمة، هذا من حيث الكلمات نفسها، لكن من حيث التركيب لا شكَّ أنَّ بعضَها أَوْلَى بالتقديم، فالمبتدأ والخبر ما الأَوْلى بالتقديم؟ المبتدأ، الفعل والفاعل؟ الفعل، وهَلُمَّ جَرّاً، الاستفهام له الصدارة، لكنْ كلامُنا على الكلمةِ من حيث هي.

(٢) ماذا يعني؟ يعني: الإنسان، الإنسان خُلِقَ من تراب، هو الآن جاء بهذا البيتِ الفَخْمِ الذي يَذهَب الإنسانُ في تصوُّرِه كلَّ مَذْهَبٍ...(*)

(٣) لو قال: «القِصاص منك» كان أوضح، القِصاص قد يكون لغيرِه، ورُبَّما يُسَرُّ به لا يُساءُ به، لكن «القِصاص منك حَكَمَ به القاضي» عَجَّلْتَ له المساءَةَ.

«العفـو عنك صَدَرَ به الأمرُ» الأصل أن يُقال: «صَدَرَ الأمرُ بالعفو عنك» هذا الأصل، لكن تعجيلًا لمَسَرَّتِهِ قلت: «العفو عنك صَدَرَ به الأمرُ»، والحقيقةُ أنَّ هذا =

(*) المراد - هنا - أنَّ الشاعرَ قَدَّمَ صفةً مُشعِرةً بالغرابَة وأَخَّرَ الموصوفَ؛ لِيَجعَلَ السامِعَ مُتشوِّقاً لِمعرفتِه، ثم ذَكَرَ أصلَ نشأتِه.

٣- **وكَوْنُ المُتَقَدِّم مَحطَّ الإنكارِ والتعجُّبِ**، نحو: «أَبَعْدَ طُولِ التجرِبةِ(١) تَنْخَدِعُ بهذه الزَّخارِفِ!؟»(٢).

٤- **والنَّصُّ على عُمومِ السَّلْبِ، أو سَلْبِ العُمومِ:**

فالأوَّلُ: يكون بتقديمِ أداةِ العُمومِ(*) على أداةِ النَّفْيِ، نحو: «كلُّ ذلك لم

= الكلامَ في حَدِّ ذاتِه على هذا التقدير فيه ركاكةٌ، لكنَّ المقصودَ ضَرْبُ المثال، إذا أردنا أن نُعَجِّلَ له البِشارةَ ماذا نقول؟: «أَبْشِرْ، فقد صَدَرَ الأمرُ بالعفو عنك»، أمَّا «العفو عنك صَدَرَ به الأمرُ» هذا لا شكَّ أنَّه ركيكٌ، فليس ببليغ، لكنْ المؤلِّف أراد بذلك ضَرْبَ المثل.

كذلك «القِصاص حَكَمَ به القاضي» يعني: القِصاص عليك، وهو على كلِّ حالٍ أوَّلَ ما يَسمع «القِصاص» يَنْفُر ويَخاف ويَرتعِد، لكن لو قال: «حَكَمَ القاضي بالقِصاص عليك» صار - عند قولِ القائلِ: «حَكَمَ القاضي» - بين هل عَلَيَّ أو لا؟.

(١) [نَطَقَها مَن يقرأ على الشيخ بضم الراء، فقال رحمه الله مُصَوِّباً]:

هذا مِن الخطأ الشائع، الناس يقولون: «التجارُب» و«التجرُبة» وهذا غَلَطٌ، لغةً لا يستقيم، بل هو بكسر الراء في المفرَدِ والجمعِ: «تجرِبة وتجارِب»، قال الشاعر(**) [البسيط]:

قد جرَّبُوه فما زادَتْ تجارِبُهم ... .

(٢) هذا مَحَلُّ الإنكارِ والتعجُّبِ؛ لأنَّه بعد طولِ التجرِبة يجب أن يكون الإنسانُ حَذِراً مُنْتَبِهاً يَقِظاً، فلا يكون مُنْخَدِعاً، ومثل قولِ الموفَّق(***) رحمه الله [الطويل]:

أَبَعْدَ بَياضِ الشَّيبِ أَعْمُرُ مَسْكَناً ... سوى القَبْرِ، إنّي إنْ فَعَلْتُ لَأَحْمَقُ

يُخَبِّرُني شَيبِي بأنِّيَ مَيِّتٌ ... وَشيكاً ويَنعاني إليَّ فيَصْدُقُ

الشاهدُ قولُه: «أَبَعْدَ بياضِ الشيبِ أَعْمُرُ مَسْكَناً سوى القبرِ».

(*) ك: «كُلّ»، و«جميع».

(**) هو الأعشى ميمون بن قيس، أحد أصحاب المعلَّقات العشر، والبيت كما في تاج العروس ولسان العرب (جرب):

كم جَرَّبوه فما زادَت تجارِبُهم ... أبا قُدامةَ إلا المجدَ والفَنَعا

(***) هو موفَّق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، صاحب كتاب (المغني) المرجع الكبير في الفقه الحنبلي، تُوُفِّيَ سنة ٦٢٠هـ.

يَكُنْ»، أي: لَم يَقَعْ هذا ولا ذاك.

والثاني: يكون بتقديمِ أداةِ النَّفْي على أداةِ العُمـوم، نحو: «لَم يَكُنْ كلُّ ذلك»، أي: لَمْ يَقَعِ المجموعُ(*)، فَيَحْتَمِلُ ثُبوتَ البعضِ، ويَحْتَمِلُ نَفْيَ كلِّ فَرْدٍ(١).

٥- **والتخصيصُ**، نحو: «ما أنا قُلْتُ»، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾(٢) [الفاتحة: ٥].

ولَم يُذكَرْ لِكلٍّ مِن التقديم والتأخيرِ دواعٍ خاصَّةٌ؛ لأنَّه إذا تقدَّمَ أحدُ رُكنَي الجملةِ تأخَّرَ الآخَرُ، فهما متلازِمان(٣).

* * *

(١) هذه مسألة مُهِمَّة، إذا قلتَ: «هل كَلَّمْتَ فلاناً أو فلاناً؟» فقلتُ: «كلُّ ذلك لم يكن» هذا نفيُ عموم السَّلْبِ، يعني: أنّي لَم أُكَلِّم هذا ولا هذا، وإذا قلتُ: «لم يكن كلُّ ذلك» ففيه احتمالُ أنّي لَم أُكَلِّمْهما، أو احتمالُ أنّي لَم أُكَلِّمْهما جميعاً بل كلَّمتُ واحداً وتركْتُ الآخَرَ.

- **عمومُ السَّلْبِ** يكون إذا قدَّمْتَ صيغةَ العمومِ على النفي.
- **وسَلْبُ العموم** إذا قَدَّمْتَ النفيَ على صيغة العموم.

في بعض ألفاظ حديث ذي اليدَيْن أنّه لمّا قال ذو اليدَيْن للنَّبِيِّ ﷺ: «أنسيتَ أم قُصِرَتِ الصَّلاةُ»؟ فقال: «**كلُّ ذلك لم يكن**»(**)، مِن أيِّهما؟: مِن عموم السَّلْب، يعني: ما كان هذا ولا هذا، لكن لو قال: «لم يكن كلُّ ذلك» صار مِن سَلْب العموم، والسَّلْب هنا بمعنى النفي.

(٢) هنا قَدَّمَ المعمولَ، وتقديمُ المعمولِ يَدُلُّ على الاختصاص.

(٣) إذا ذَكَرْتَ دواعيَ التقديمِ عَرَفْتَ دواعيَ التأخيرِ.

(*) النفي في عموم السلب يكون لكل فرد، أما في سلب العموم فيكون للمجموع غالباً.

(**) رواه البخاري (١٠/٦٩)، ومسلم (٥/رقم: ٩٩)، واللفظ له.

الباب الرابع

في

القَصْر

القَصْر

القَصْرُ: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ[١]، بطريقِ مخصوصٍ.

وينقسم إلى: حقيقيٌ، وإضافيٌ.

١ - **فالحقيقيُّ**: ما كان الاختصاصُ فيه بحَسَبِ الواقعِ والحقيقةِ، لا بحَسَبِ الإضافةِ إلى شيءٍ آخَرَ، نحو: «لا كاتِبَ في المدينة إلا عليٌّ» إذا لم يكن غيرُه فيها مِن الكُتَّابِ[٢].

٢ - **والإضافيُّ**: ما كان الاختصاصُ فيه بحَسَبِ الإضافةِ إلى شيءٍ مُعَيَّنٍ، نحو: «ما عليٌّ إلا قائِمٌ» أي أنَّ له صفةَ القيامِ لا صفةَ القُعودِ، وليس الغَرَضُ نَفْيَ جميعِ الصِّفاتِ عنه، ما عدا صفةَ القيامِ[٣].

---

(١) اِنْتَبِهْ إلى أنَّ القَصْرَ يعني: الحَصْر، فهو يُسمَّى حَصْراً ويُسمَّى قَصْراً؛ لأنَّ الحَصْرَ: قَصْرُ شيءٍ على آخَر، فهما بمعنى واحد.

(٢) القَصْرُ- وهو الحَصْرُ -: حقيقيٌّ وإضافيٌّ:

- فإذا قلت: «لا إله إلا اللَّهُ» فالحَصْرُ حقيقيٌّ؛ لأنَّ المقصودَ: لا إله حقٌّ إلا اللَّهُ، وهذا حقيقيٌّ.
- وإذا قلت: «لا خالِقَ إلا اللَّهُ» فهو أيضاً حقيقيٌّ.
- وإذا قلت: «لا مَلِكَ إلا فلان» وهو - حقيقةً - ليس هناك إلا مَلِك واحد؛ هذا حقيقيٌّ.
- وإذا قلت: «لا مُعَلِّمَ إلا فلان» وليس في البلد سواه، و«لا كاتِبَ إلا فلان» ولا كاتِبَ سواه؛ حقيقي.

(٣) الإضافي: هو ما كان محصوراً بالنسبة إلى شيءٍ مُعَيَّنٍ.

إذا قلت: «لا جوادَ إلا حاتِمٌ»- حاتم الطائِيّ المعروف- إضافي؛ لأنَّه يُوجَد أجوادٌ كثيرون، ولكن لا جوادَ مثلًا باعتبار المكان الذي هو فيه، باعتبار الزمان الذي هو فيه، باعتبار نوعٍ من الجُود، فالإضافي: ما كان الحَصْرُ فيه باعتبار شيءٍ مُعَيَّنٍ. =

وكلٌّ منهما ينقسم [باعتبار طَرَفَيهِ] إلى:

١- قَصْرِ صفةٍ على موصوفٍ، نحو: «لا فارِسَ إلا عليٌّ».

٢- وقَصْرِ موصوفٍ على صفةٍ(*)، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فيَجوزُ عليه الموتُ(١).

والقَصْرُ الإضافيُّ ينقسم باعتبارِ حالِ المُخاطَبِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

١- قَصْرِ إفرادٍ: إذا اعْتَقَدَ المُخاطَبُ الشَّرِكَةَ.

= وأيُّهما الحَصْرُ الذي يُقصَد عند الإطلاق؟ عند الإطلاق يُحمَل على الحقيقي، فإذا تَعَذَّرَ الحَمْلُ على الحقيقي قلنا: هذا إضافي.

حَسَنًا، «ما عَلِيٌّ إلا قائِمٌ» هذا إضافي؛ لأنَّه ضاحِكٌ جائِعٌ عطشانُ باكٍ له صفات كثيرة غير «قائم»، لكن هذا بالنسبة لهذه الصِّفةِ المُعَيَّنةِ، يعني أنَّه قائم وليس بقاعِد، هذا ما نُسمِّيه حَصْراً إضافيّاً، فما كان الحَصْرُ فيه باعتبار الواقع فهو حقيقي، وما كان الحَصْرُ به باعتبار شيءٍ مُعَيَّنٍ فهو إضافيّ.

(١) إذا كانت الصِّفَةُ مُخْتَصَّةً بموصوفِها فهو قَصْرُ صفةٍ على موصوفٍ، وإن كان الموصوفُ مقصوراً على الصِّفَةِ فهو قَصْرُ موصوفٍ على صفةٍ.
- «لا فارسَ إلا عَلِيٌّ» قَصَرْنا صفةَ الفروسيَّةِ على عَلِيٍّ، أمَّا كَوْنُه حقيقيّاً أو إضافيّاً فنَنْظُرُ، إن كان في البلد فارسٌ سواه فهو إضافي، وإلَّا فهو حقيقي.
- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ هذا قَصْرُ موصوفٍ على صفةٍ، يعني أنَّ مُحَمَّداً ﷺ موصوفٌ بأنَّه رسولٌ لا أنَّه ربٌّ، ولا أنَّه مَلَكٌ، ولا أنَّه سيُخَلَّدُ؛ لأنَّ آخِرَ الآيةِ يَدُلُّ على ذلك: ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾.
- «لا قائِمَ إلا محمدٌ»: صفة على موصوف.
- «ما محمَّدٌ إلا قائِمٌ»: موصوف على صفة.

(*) الغالبُ في القَصْر الحقيقي قَصْرُ الصفة على الموصوف، ويندر فيه قَصْرُ الموصوف على الصفة، أمَّا القَصر الإضافي فيَرِدُ فيه النوعان بكثرة.

٢- **وقَصْرِ قَلْبٍ**: إذا اعْتَقَدَ العكسَ.

٣- **وقَصْرِ تعيينٍ**: إذا اعْتَقَدَ واحداً غَيْرَ مُعَيَّنٍ[(١)].

وللقَصْرِ طُرُقٌ:

١ - **منها: النَّفْيُ والاستثناءُ**، نحو: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

٢ - **ومنها: «إنَّما»**، نحو: «إنَّما الفاهِمُ عليٌّ».

٣ - **ومنها: العَطْفُ بـ «لا» أو «بل» أو «لكنْ»**، نحو: «أنا ناثِرٌ لا ناظِمٌ»، و«ما أنا حاسِبٌ بل كاتِبٌ»[(٢)].

---

(١) **القَصْر الإضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام**:
١- **قَصْر إفرادٍ**: إذا اعتقد المخاطَبُ الشَّرِكَةَ، فإذا قلت: «لا قائِم إلا محمد» تُخاطِب رَجُلًا يَعتقد أنَّ القائِمَ محمَّدٌ وعليٌّ؛ هذا قَصْرُ إفرادٍ، يعني بعدما كان المخاطَبُ يَعتقد أنَّ القائِمَ أكثرُ من واحد؛ صار الآن لا يَتصوَّر إلا واحداً.
٢- **قَصْر قَلْبٍ**: إنسان يَعتقد أنَّ عَمْراً هو الكاتب، فقلت: «لا كاتِبَ إلا عليٌّ»، هذا قَصْرُ قَلْبٍ؛ لأنَّ المخاطَبَ يَعتقد أنّه لا كاتِبَ إلا عَمْرٌو، الآن قَلَبْتَ الأمرَ عليه وقلت: «لا كاتِبَ إلا عليٌّ أو محمدٌ»، المهِمُّ أنّني خاطَبْتُه بغير ما كان يَعتقد، هذا يُسمَّى قَصْرَ قَلْبٍ؛ لأنّي قَلَبْتُ مفهومَ المخاطَبِ إلى ضدِّه.
٣- **قَصْر تعيينٍ**: مثل أن يسألك سائِلٌ: «يا فلان! هل عمرٌو هو الكاتِبُ أو خالدٌ»؟ فقلت: «لا كاتِبَ إلا خالدٌ»، هذا تعيينٌ.

(٢) ما أتى بمثالٍ لـ«لكنْ»!، انزَعْ «بل» وضَعْ بدلها «لكنْ»؛ يستقيم، تقول: «ما أنا حاسِبٌ لكنْ كاتِبٌ».

٤ - ومنها: تقديمُ ما حقُّهُ التأخيرُ، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[(١)] [الفاتحة: ٥].

* * *

(١) الآن ذَكَرَ الطُّرُقَ:

١ - **النفي والاستثناء**، وهو أعلاها، مثل: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ما هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ، وهذا الحَصْرُ إضافيٌّ، يعني أنَّ النِّسْوَةَ قُلْنَ: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

٢ - **«إنَّما»**، والفَرْق بين «إلا» و«إنَّما» أنَّ «إلا» يليها المحصورُ فيه، و«إنَّما» يليها المحصورُ، انْتَبِهْ للفَرْق، مثاله: «إنَّما الفاهِمُ عَلِيٌّ»، الآن حَصَرْتَ الفَهْمَ بعلِيٍّ؛ لأنَّ «إنَّما» يليها المحصورُ.

٣ - **«لا»**، تقول: «القائِمُ عليٌّ لا بَكْرٌ».

٤ - **«بل»**: «ما القائِمُ فلانٌ بل فلانٌ».

٥ - **«لكنْ»**: «ما القائمُ فلانٌ لكنْ فلانٌ».

٦ - **تقديم ما حقُّه التأخيرُ**: هذه عامَّةٌ، كلُّ «تقديم ما حقُّه التأخيرُ» فهو مُفيدٌ للحَصْر، سواءٌ كان مفعولًا به أو كان خبراً أو غيرَ ذلك[(*)].

(*) وهذا توضيح هيكلي لمواضع المقصور والمقصور عليه في الطُّرُق السابقة:

١- **النفي والاستثناء**: (نفي + مقصور + استثناء + مقصور عليه).

٢- **إنَّما**: (إنَّما + مقصور + مقصور عليه).

٣- **لا**: (مقصور + مقصور عليه + لا + المقابل).

٤- بل، لكنْ: (نفي أو نهي+ مبتدأ أو فعل + مقصور + بل أو لكنْ + مقصور عليه).

٥- **تقديم ما حقُّه التأخير**: (مقصور عليه + مقصور).

الباب الخامس

في

الفصل والوصل

الفصل والوصل

الوَصْلُ: عَطْفُ جملةٍ على أُخرى.

والفَصْلُ: تَرْكُهُ.

والكلامُ هنا قاصِرٌ على العطفِ بالواوِ؛ لأنَّ العطفَ بغيرِها لا يَقَعُ فيه اشْتِباهٌ.

ولكلٍّ من الوصلِ بها والفصلِ مواضِعُ[1].

* * *

(١) **الوصل**: عَطْفُ الشيءِ على الشيء بالواو.
والفصل: تَرْكُ عطفِه بالواو.
هذا الضابط، ولكلٍّ منهما مواضع يذكرها المؤلِّفُ.

مواضعُ الوصلِ بالواوِ

يَجِبُ الوَصْلُ في موضِعَيْنِ:

الأول: إذا اتَّفقَتِ الجُملتانِ خبراً أو إنشاءً وكان بينهما جِهَةٌ جامِعَةٌ، أي: مناسَبَةٌ تامَّةٌ، ولم يكن مانِعٌ مِن العطفِ، نحو: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[(١)] [الانفطار: ١٣-١٤]، ونحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾[(٢)] [التوبة: ٨٢].

الثاني: إذا أَوْهَمَ تَرْكُ العطفِ خِلافَ المقصودِ، كما إذا قُلْتَ: «لا، وشَفَاه اللَّهُ» جواباً لمَن يَسألُك: «هل بَرِئَ عليٌّ مِن المرض»؟، فتَرْكُ الواوِ يُوهِمُ الدعاءَ عليه، وغَرَضُك الدعاءُ له[(٣)].

(١) الآن [لو] فُصِلَ وقلت ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ إِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ تنافَرَتِ الجُملتان، فإذا قلت ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ﴾ صارت المناسَبَةُ بينهما أظهرَ، فهنا وصلٌ؛ لأنَّنا عَطَفْنا إحدى الجملتين على الأُخرى بالواو.

(٢) كذلك أيضاً ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ لو حُذِفَتِ الواوُ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا لِيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ لم يكن بين الجملتين تناسُبٌ، لكن لو قلنا ﴿وَلْيَبْكُوا۟﴾ قَرَنَتِ الواوُ بينهما وصار بينهما مناسَبَةٌ[(*)].

(٣) هذه كثيراً ما تقع، ويُخطِئ فيها الناسُ، دائِماً يقولون: «لا هداكَ اللهُ» «لا رَحِمَكَ اللهُ»، =

(*) سُئِلَ الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: في قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، وهناك آية [أخرى وهي]: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، [فما الفرق بينهما]؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الفرق بينهما أنَّ الآية الثانية أفادَتْ معنى آخر، وهي: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ثم أضاف إليه العقوبة الثانية وهي التذبيح، والأُولى أَجْمَلُ - [مِن الإجمال] - قال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ففسَّره بالتذبيح.

مواضع الفصل

يَجِبُ الفَصْلُ في خمسةِ مواضعَ:

الأول: أن يكونَ بين الجُملتَيْنِ اتِّحادٌ تامٌّ بأن تكونَ الثانيةُ:

- **بَدَلًا مِن الأُولى**، نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾[1] [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

- أو بأن تكونَ **بَياناً لها**، نحو: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾[2] [طه: ١٢٠].

= تسأله: «هل قَدِمَ زيدٌ»؟ يقول: «لا رَحِمَك اللهُ»، «هل شُفِيَ مِن المرض»؟ [فيقول:] «لا شفاه اللهُ»، وما أشبه ذلك، هنا يَتَعَيَّنُ العطفُ بالواو وهو الوصل، فتقول: «لا، وشفاه اللهُ».

لو قلت لمَن سألك «هل بَرِئَ من المرض؟»: «لا شفاه اللهُ»؛ سيقول لك: «ما الذي بينك وبينه؟، لماذا تدعو له بعدم الشفاء؟»، لكن إذا قلت: «لا، وشفاه اللهُ» قَطَعْتَ هذا الاحتمالَ، وصار الوصلُ هنا واجِباً.

أَكْثَرُ مُخاطَبَتِنا بعدم الواو، لكنْ ينبغي أن تَضَعَ ذلك في ذِهْنِك أن تأتي بالوصل.

(١) ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ بماذا أَمَدَّنا؟ أَمَدَّكم بأنعام وبنين؛ لأنَّك هنا لو وَصَلْتَ وقلت «وأَمَدَّكم» صارت الثانيةُ غيرَ الأولى، والمقصود أنَّ الثانيةَ هي الأولى، لو كانت الآيةُ الكريمةُ: «أمدكم بما تعلمون وأمدكم بأنعام وبنين»؛ صارت الثانيةُ غيرَ الأُولى، والمقصودُ بيانُ أنَّ الثانيةَ هي الأُولى، فيكون ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ بدلًا من الأُولى.

(٢) القائلُ إبليسُ، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ يعني: ألقى إليه الوسواسَ، ولم يقل: «فَوَسْوَسَ له»، بل أَوْصَلَهُ إليه، كلمةُ ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾ بيانٌ للوسوسةِ التي ألقاها إليه الشيطانُ، لو قال: «فوسوس إليه الشيطان وقال يا آدم» لكان ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾ غيرَ الوسوسةِ، لكن وَسْوَسَ إليه بشيءٍ غيرِ مذكور.

- أو بأن تكونَ **مُؤَكِّدَةً لها**، نحو: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾(١) [الطارق: ١٧].

ويُقال في هذا الموضعِ: إنَّ بين الجملتين **كمالَ الاتِّصالِ**(٢).

الثاني: أن يكونَ بين الجملتين تبايُنٌ تامٌّ:

- بأن **يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً**(٣)، كقوله [المُنْسَرِح]:

لا تَسْأَلِ المَرْءَ عن خَلائِقِهِ ... في وَجْهِهِ شاهِدٌ مِن الخَبَرِ(٤)

(١) «مَهِّلْ» و«أَمْهِلْ» معناهما واحد، ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هذا مُطلَقٌ ما يُدْرَى هل أُمْهِلُهم قليلًا أو كثيراً؟، فيَذهَبُ الذِّهْنُ كلَّ مَذْهَبٍ، فقال: ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾.

فإن قال قائلٌ: لماذا قال «مَهِّلْ» و«أَمْهِلْ»؟

قلنا: هذا اختلاف الفعلَيْن لِئَلَّا يقع التكرارُ، وهو ما يُسمَّى عندهم بـ«التَّفَنُّنِ في العبارة».

إذاً لو كان في غير القرآن وقلت: ﴿أَمْهِلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ يجوز، و - هو في غير القرآن - أيضاً: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ مَهِّلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ يجوز(*).

(٢) لأنَّ الثانية هي الأُولى أو بَدَلٌ منها أو بيانٌ لها، فبينهما كمالُ الاتِّصالِ.

(٣) هذا عكس الأُولى، والتبايُن فسَّره: بأن يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً، يعني: بأن تكون إحداهما خبراً والأخرى إنشاءً.

(٤) يعني لا تسألْهُ: ما الذي بك؟ ما الذي أغضبك؟ ما الذي سَرَّك؟ لا تسألْهُ؛ لأنَّ في وَجْهِهِ شاهداً من الخَبَرِ، الإنسان يَعرِفُ الشخصَ إذا رأى وَجْهَه، يَعرِف أنَّه مسرور أو مغموم، يَعرِف أنَّه عَدُوّ أو صديق، فالوجوهُ في الحقيقة صَفَحاتُ القلوبِ.

هاتان الجملتان(**) اختلفتا خبراً وإنشاءً: الأُولى: إنشاء، والثانية: خبر.

(*) قُرِئَ شاذّاً: ﴿فَأَمْهِلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾، انظر: «إعراب القراءات الشواذ: ٢/ ٦٩٩» للعكبري، وقرأ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ مَهِّلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾، انظر: «البحر المحيط: ٨/ ٤٥٦» لأبي حيان الأندلسي، «المحرَّر: ١٥/ ٤٠٤» لابن عطية، «الدر المصون: ٦/ ٥٠٨» للسمين الحلبي.

(**) أي: شَطْرا البيتِ.

وكقولِ الآخَرِ [البسيط]:

وقال رائِدُهُمْ: أَرْسُوا نُزاوِلُها فَحَتْفُ كُلّ امْرِئٍ يَجْرِي بِمِقْدارِ(١)

- أو بأن لا يكونَ بينهما مُناسَبةٌ في المعنى، كقولك: «عليٌّ كاتِبٌ، الحَمامُ طائِرٌ»، فإنَّه لا مُناسَبةَ في المعنى بين كتابةِ عليٍّ وطَيَرانِ الحَمامِ.

ويُقال في هذا الموضعِ: إنَّ بين الجملتين **كمالَ الانقطاعِ**(٢).

الثالث: كَوْنُ الجملةِ الثانيةِ جواباً عن سؤالٍ نَشَأَ من الجملةِ الأُولى، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾(٣) [يوسف: ٥٣].

ويُقال: بين الجملتين **شِبْهُ كمالِ الاتِّصالِ**.

الرابع: أن تُسْبَقَ جملةٌ بجملتين يَصِحُّ عطفُها على إحداهما؛ لِوُجودِ المناسَبةِ، وفي عطفِها على الأخرى فسادٌ، فيُتْرَكُ العطفُ؛ دَفْعاً للوَهْمِ، كقوله [الكامل]:

وَتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّني أَبْغي بها بَدَلًا، أُراها في الضَّلالِ تَهِيمُ

فجملةُ «أُراها» يَصِحُّ عطفُها على «تَظُنُّ»، لكن يَمْنَعُ مِن هذا تَوَهُّمُ العطفِ على جملةِ «أبغي بها»، فتكون الجملةُ الثالثةُ من مَظْنوناتِ سَلْمَى، مع أنَّه

---

(١) بينهما تبايُن، الأُولى: إنشاء، والثانية: خبر، هل بين الجملتين انفصال؟ هناك عطفٌ: «فَحَتْفُ»، ولكن بغير الواو، العطفُ بغير الواو فصلٌ.

(٢) الآن لو قال قائلٌ: «عليٌّ كاتِبٌ، والحَمامُ طائِرٌ»؛ كان الناس ينتقدون عليه، ما العلاقة بين «عليٌّ كاتِبٌ» و«الحَمام طائِر»!؟ ما العلاقة!؟، فإذا قال: «عليٌّ كاتِبٌ، الحَمامُ طائِرٌ» فَصَلَهما ولم يَجعَل بينهما علاقة، فبينهما إذاً تبايُنٌ تامٌّ لعدم المناسَبة.

(٣) كِلْتا الجملتين خَبَرٌ، لكنَّ الثانيةَ تعليلٌ للأولى، فالجملة التعليلية بينها وبين الأُولى فَصْلٌ، يجب الفصلُ لأنَّها تعليلٌ لها.

ليس مُراداً[١].

ويُقال: بين الجملتين في هذا الموضِعِ **شِبْهُ كمالِ الانقطاعِ**.

الخامس: أن لا يُقْصَدَ تَشريكُ الجملتين في الحُكْمِ لِقيامِ مانِعٍ[٢]، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]، فجملةُ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ لا يَصِحُّ عطفُها على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لاقْتِضائِه أنَّه مِن مَقُولِهم، ولا على جملةِ ﴿قَالُوٓاْ﴾؛ لاقْتِضائِه أنَّ استهزاءَ اللَّهِ بهم مُقَيَّدٌ بحالِ خُلُوِّهِم إلى شياطينِهم.

ويُقال[٣]: بين الجملتين في هذا الموضعِ **تَوَسُّطٌ بين الكمالَيْنِ**.

* * *

---

(١) لو قال: «وأُراها» لكان يحتمل أن تكون عطفاً على «تَظُنُّ»، وأن تكون عطفاً على «أبغي»، والمعنى يختلف اختلافاً عظيماً، لذلك نقول: اقْطَعِ العطفَ لتكونَ جملةً مستقلَّةً: «أُراها في الضَّلالِ تهيمُ».

(٢) إذا لم يُقصَد تشريكُ الجملتين في الحُكْمِ لقيامِ مانِعٍ فإنَّه يجب الفصلُ؛ لِئَلَّا يَتوهَّم واهِمٌ أنَّ الجملتين مشتركتان في الحُكْم.

إذا قال قائِلٌ: هذه المعاني التي قالها المؤلِّفُ بماذا تُدْرَكُ؟

فالجواب: أنَّها تُدرَك بسياق الكلام وما يحتمله من المعاني، ولذلك رُبَّما يَفهَم بعضُ الناسِ أنَّ الأَولى الفصلُ، وآخَرُ يرى أنَّ الأَولى الوصلُ؛ لأنَّ الأفهامَ تختلفُ، فالشيءِ الذي يَرجِع إلى القرائِن هذا لا بُدَّ أن يختلف الناسُ فيه، لكنْ أنت إذا عَرَفْتَ الضابِطَ نَزِّلْ كلامَك الذي تتكلَّم به على هذا الضابِطِ.

(٣) **أمَّا قولُ المؤلِّفِ**: «ويُقال ويُقال» فهذا تعريفُ الاصطلاحِ: اصطلاحِ البلاغيين، بمعنى أنت إن شِئْتَ لا تَقُلْ بهذا، لكنِ الاصطلاحُ لا مشاحةَ فيه.

الباب السادس

في

الإيجاز والإطناب والمُساواة

الإيجاز والإطناب والمساواة[١]

كلُّ ما يَجولُ في الصَّدْرِ مِن المعاني يُمْكِنُ أن يُعَبَّرَ عنه بثلاثِ طُرُقٍ:

١- **المُساواة**: وهي تَأْدِيَةُ المعنى المُرادِ بعبارةٍ مُساوِيَةٍ له، بأن تكونَ على الحَدِّ الذي جَرَى به عُرْفُ أَوْساطِ الناسِ: وهم الذين لم يَرْتَقُوا إلى درجةِ البلاغةِ، ولم يَنْحَطُّوا إلى درجةِ الفَهَاهَةِ[٢]، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢- **والإيجاز**: وهو تَأْدِيَةُ المعنى بعبارةٍ ناقِصَةٍ عنه مع وَفائِها بالغَرَضِ[٣]، نحو: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ**»[٤](*)، فإذا لم تَفِ بالغَرَضِ سُمِّيَ **إخلالاً**، كقوله

---

(١) هذا أيضاً من المُهِمِّ: هل الأَولى في الكلام الإطنابُ، أو الأَولى القَصْرُ والاختصارُ، أو الأَولى التسويةُ؟، هذا يَرجِع إلى ما تَقتضيه الحالُ.

(٢) هذا من جِنْسِ اللُّقَطَةِ، تَتْبَعُه هِمَّةُ أوساطِ الناس.

(٣) الإيجاز ذَكَرَ المؤلِّفُ أنَّه: «أن يُؤتَى بعبارةٍ ناقصةٍ مع وفائِها بالغرض»، النقص قد يكون نقصاً في الجُمَل، وقد يكون نقصاً بالحذف وهذا أكثر ما يكون في القصص، في القرآن الكريم تَأَمَّلْ أنَّ القصصَ - قصةَ يوسف وقصةَ موسى - يكون فيها حذفٌ كثيراً، هذا الذي نُسمِّيه إيجازاً.

(٤) «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ**» هذا إيجاز، لكنَّه واضح أو غير واضح؟ واضح.
«**مَن عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**»(**) إيجاز.
«**مَن كان يُؤمِن بالله واليوم الآخِر فليقل خيراً أو ليصمت**»(***) هذا إيجاز مع وضوح المعنى.
الإيجاز له مَحَلَّات ومواضع، والإطناب له مَحَلَّات ومواضع.

(*) رواه البخاري (١/١)، ومسلم (٣٣/رقم: ١٥٥).
(**) رواه مسلم (٣٠/رقم: ١٨).
(***) رواه البخاري (٧٨/ ٣١)، ومسلم (١/رقم: ٧٤).

[مجزوء الكامل]:

والعَيْشُ خَيرٌ في ظِلا ... لِ النُّوكِ مِمَّنْ عاشَ كَدّاً

مُرادُه: أنَّ العَيْشَ الرَّغَدَ في ظِلالِ الحُمْقِ خيرٌ مِن العَيْشِ الشَّاقِّ في ظِلالِ العَقْلِ[1].

٣- **والإطناب**: وهو تَأْدِيَةُ المعنى بعبارةٍ زائِدةٍ عنه مع الفائِدةِ، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، أي: كَبِرْتُ.

فإذا لم تَكُنْ في الزِّيادةِ فائِدةٌ سُمِّيَ **تطويلًا** إن كانتِ الزِّيادةُ غيرَ مُتعَيِّنَةٍ، **وحَشْواً** إن تَعَيَّنَتْ.

فالتطويلُ نحو [الوافر]:

... ... **وأَلْفَى قَوْلَها كَذِباً ومَيْناً**

والحَشْوُ نحو [الطويل]:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ[2] ... ...

---

(١) هذا مُخِلٌّ ولا يَفهَم معناه أحدٌ، مع أنَّه غيرُ مُسَلَّم، نحن نرى أنَّ العيشَ في ظِلال العقل وإن كان شاقّاً خيرٌ من العيش في ظِلال النُّوك (يَعني: التَّرَف والتنعُّم)، لكنْ أكثر الناس بهائم يريد أن يعيش في تَرَفٍ ورخاءٍ وإن كان عيشُه ليس مَبْنِيّاً على العقل.

(٢) الإطناب: هو تأْدِيَةُ المعنى بعبارة زائدة عنه- أي: عن المعنى- مع الفائدة، فإن لم يكن فائدةٌ سُمِّيَ تطويلًا إن كانت الزيادةُ غيرَ مُتَعَيِّنةٍ، وحشواً إن تَعَيَّنَتْ، مثلًا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هذا كناية عن كِبَرِ السِّنِّ، لو قال: «رَبِّ إنِّي كَبِرْتُ» صَحَّ الكلامُ، يعني حَصَلَ المقصود، لكن أراد أن يُبيِّنَ الدَّلالةَ الواضحةَ على كِبَرِه وهو الجَمْع بين هذين الأمرين: =

ومن دواعي الإيجازِ: تسهيلُ الحفظِ، وتقريبُ الفَهْمِ، وضِيقُ المَقامِ،

= ١- وَهْن العَظْم.
٢ - واشتعال الرأس شيباً.

لو أنَّ أحدَهما تخلَّفَ فليس دليلًا على الكِبَر؛ لأنَّه رُبَّما يَهِنُ العَظْمُ من مرضٍ مع صغرِه، ورُبَّما يَشتعِل رأسُه شيباً مع صغرِه، وهذا واقع، لكن إذا اجتمعا كان ذلك دليلًا على الكِبَر.

إذا لم يكن في الزيادة فائدةٌ فإن كانت الزيادةُ غيرَ مُتَعَيِّنَةٍ فهو تطويل، وإن كانت مُتَعَيِّنَةً فهو حشو، مثال ذلك: **«وألْفَى قَوْلَها كَذِباً ومَيْناً»**، الآن «كَذِباً ومَيْناً» معناهما: «كَذِبٌ»، أيُّهما الزائد؟

الطلبة: المَيْن.

الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: لا، الزيادةُ غيرُ مُتَعَيِّنةٍ، لا ندري هي الأُولى أو الثانية، لو قال: «وألفى قولَها كَذِباً» صَحَّ، و«ألفى قولَها مَيناً» صَحَّ، فلا ندري أيُّهما الزائد.

قد يقول قائلٌ كما قلتم: «إنَّ الزائد هو الثاني؛ لأنَّه لو اقْتَصَرَ على «كَذِباً» استغنى عن الثاني».

فيُقال: إنَّ الواوَ- التي هي حرف العطف- تقتضي الاشتراكَ، وإذا كانت تقتضي التشريكَ صارت الكلمتان كأنَّهما كلمةٌ واحدةٌ،فأحدُهما يُستغنَى عنه ولا يُعلَم أيُّهما.

وأمَّا «وأعْلَمُ عِلْمَ اليوم والأمسِ قَبْلَه» فالثانية زائدة قطعاً؛ لأنَّ كلمةَ «أمس» تُغني عن «قبله»، وليس بينهما عطفٌ بالواو حتى نقول إنَّ هناك اشتراكاً.

بَقِيَّة البيت: «ولكنَّني عن عِلْمِ ما فِي غَدٍ عَمِ» يعني: لا أعلم.

الخُلاصة:

- إن زادَ اللَّفظُ على المعنى فهو **إطناب**.
- وإن كان المعنى أكثرَ فهو **إيجاز**.
- وإن تساوَى اللَّفظُ والمعنى فهو **مساواة**، قولُك: «قامَ زيدٌ» مساواةٌ، وأكثرُ الكلامِ مساواةٌ.
- الإطناب إن لم يكن فائدةٌ في الزيادة فهو **تطويل**، فإن تَعَيَّنَتِ الزيادةُ فهو **حشو**.

والإخفاءُ، وسآمَةُ المُحادَثَةِ[١].

ومن دواعي الإطنابِ: تَثْبيتُ المعنى، وتوضيحُ المُرادِ، والتوكيدُ، ودَفْعُ الإيهامِ[٢].

* * *

(١) صحيح، أو الإنسان له شغل مثلًا، فأسباب الإطناب كثيرة:
- **تسهيل الحفظ**، ولذلك صار العلماء رحمهم الله يَختصِرون الكُتُبَ المُطوَّلَةَ.
- **تقريب الفهم**، أيضاً رُبَّما إذا طال الكلامُ يُنْسِي آخِرُه أوَّلَه، فإذا صار قصيراً فَهِمَهُ الإنسانُ.
- **ضيق المقام**، يكون الإنسانُ عَجِلًا لا يستطيع أن يُطوِّل؛ لأنَّ المقام لا يقتضي.
- **الإخفاء**، يعني أنَّه يَحذِف بعضَ الأمورِ إخفاءً لها.
- **سآمة المحادَثَة**، يعني أنَّ الذي تُخاطِبُه سَئِمَ منك، وتَشعُر هذا إذا قلت «خلاص» وهو يقول: «كيف حالك، كيف العيال، كيف الحَرُّ عندكم...؟»، نُفَصِّلُ كلَّ شيءٍ؟!!، تقول له: «خلاص» ويَظَلُّ يسأل!، هنا يَحْسُنُ الإيجاز.

ولذلك ينبغي إذا خاطَبْنا الناسَ الذين عندهم أشغال كثيرة ألَّا نُطَوِّلَ عليهم، نَقْتَصِر على «السلام عليكم، كيف حالُكم، ما تقول في كذا وكذا؟»، أو تسأل حاجتَك التي تريد.

(٢) هذه من الدواعي، ومن الدواعي: **بلاهَةُ المخاطَبِ**، إذا كان المخاطَبُ أَبْلَهَ يَحتاج أن تُطَوِّلَ له وتأتي بالمرادِف وبالتوكيد حتى يَفهَم، ولعلَّه داخِلٌ في قول المؤلِّف: «توضيح المراد».

أقسام الإيجاز

الإيجازُ إمَّا أن يكونَ بتضَمُّنِ العبارةِ القصيرةِ معانيَ كثيرةً، وهو مَرْكَزُ عِنايةِ البُلَغاءِ، وبه تتفاوَتُ أقدارُهم، ويُسمَّى: **إيجازَ قِصَرٍ**، نحو قولِه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾(١) [البقرة: ١٧٩].

(١) النوع الأول وهو إيجاز القِصَر، هذا يَختلِفُ فيه الناسُ اختلافاً عظيماً، قول اللّه تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ هذه عبارةٌ مُختَصَرَةٌ لكنَّها جَمَعَتْ بين الحُكم وكيفيَّةِ تنفيذِه والغايةِ منه، الحُكم: القِصاص، الغاية منه: الحياة، الحُكْمُ أن يُفعَل بالجاني كما فَعَلَ.

اشتُهِرَ عند الجاهليين عبارةٌ يتناقلونها ويَرَوْنَ أنَّها من أبْلَغ العبارات، وهي قولهم: **«القتلُ أنفى للقتل»**(*)، لكن لو قارَنْتَ بينها وبين هذه الآية لَوَجَدْتَ الفَرْقَ العظيمَ؛ لأنَّ «القتل أنفى للقتل» كلُّها قَتْلٌ ليس فيها حياة، ولأنَّها ليس فيها دليلٌ على أنها مُقاصَّةٌ.

وذَكَرُوا عشرةَ أَوْجُهٍ في الفَرْق بينهما(**)، مع أنَّنا **لا نُحَبِّذُ هذا؛ لأنَّه لا شكَّ أنَّه لا سواءَ ولا مُقارَبَةَ بين صفاتِ الخالِقِ والمخلوقِ، والقرآنُ صِفَةُ الخالِقِ عزَّ وجلَّ.**

إذاً هذه فيها إيجازُ قِصَرٍ؛ لأنَّها تَضَمَّنَتْ معانيَ كثيرةً مع أنَّ كلماتِها قليلةٌ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾.

(*) قائلها كِسْرَىٰ الفرسِ أزدشير بن شيرويه، تُوُفِّيَ سنة ١٢هـ قبل فتح بلاد فارس.

(**) أَجْمَلَ القزوينيُّ في ثماني نقاط الفروقَ التي فاقَتْ بها هذه الآيةُ الكريمةُ قولَهم: «القتل أنفى للقتل»، فقال:

«- **أحدها**: أنَّ عِدَّةَ حروفِ ما يناظره منه وهو في ﴿ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ عشرةٌ في التلفظ، وعِدَّةَ حروفه أربعة عشر.

- **وثانيها**: ما فيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها، فيكون أزجَرَ عن القتل بغير حق؛ لكونه أدعَى إلى الاقتصاص.
- **وثالثها**: ما يفيد تنكيرُ ﴿حَيَوٰةٌ﴾ من التعظيم أو النوعية.
- **ورابعها**: اطِّرادُه، بخلاف قولهم، فإنَّ القتلَ الذي ينفي القتلَ هو ما كان على وجه القصاص لا غيرُه.
- **وخامسها**: سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام، بخلاف قولهم.
- **وسادسها**: استغناؤه عن تقدير محذوفٍ، بخلاف قولهم، فإنَّ تقديره: القتل أنفى للقتل مِن تَرْكِهِ.
- **وسابعها**: أنَّ القصاصَ ضدُّ الحياة، فالجمع بينهما طِباق.
- **وثامنها**: جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال (في) عليه».

انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» «ص١٠٦».

وإمَّا أن يكونَ بحذفِ كلمةٍ أو جملةٍ أو أكثرَ مع قرينةٍ تُعَيِّنُ المحذوفَ، ويُسمَّى: **إيجازَ حَذْفٍ**.

- **فحَذْفُ الكلمةِ**، كحذفِ «لا» في قول امرئ القيس [الطويل]:

فقُلْتُ: يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قاعِداً ... ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيكِ وأَوْصالِي(١)

- **وحَذْفُ الجملةِ**، كقولِهِ تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٨٤] أي: فَتَأَسَّ وَٱصْبِرْ.

- **وحَذْفُ الأكثرِ**، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسُف: ٤٥-٤٦]، أي: أَرْسِلوني إلى يوسُفَ لِأَسْتَعْبِرَهُ الرُّؤْيا، فَفَعَلُوا، فَأَتاهُ، وقال له: يا يوسُفُ(٢).

* * *

---

(١) التقدير: «لا أَبْرَحُ»؛ لأنَّ «أَبْرَحُ» و«أزالُ» و«فَتِئَ» و«انْفَكَّ» لا تعمل عَمَلَ «كان» إلا إذا سُبِقَتْ بنفي أو معناه.

(٢) بَدَلًا من كلام المؤلِّف الطويل هذا نقول: حَذْفُ الأكثرِ قولُه تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾، فأَرْسَلُوه، فأتى يوسفَ، وقال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾، فتجِدُ فيها حَذْفاً، وكما قلتُ لكم قبلُ: الغالبُ في القِصص أن يكون فيها إيجازُ حَذْفٍ.

أقسام الإطناب

الإطنابُ يكونُ بأمورٍ كثيرةٍ:

١- منها: **ذِكْرُ الخاصِّ بعد العامِّ**، نحو: «اجْتَهِدُوا في دُروسِكم واللُّغةِ العربيَّةِ»(١)، وفائدتُه: التنبيهُ على فَضْلِ الخاصِّ، كأنَّه لِرِفْعَتِه جِنْسٌ آخَرُ مغايِرٌ لِمَا قَبْلَه.

٢- ومنها: **ذِكْرُ العامِّ بعد الخاصِّ**، كقوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾(٢) [نوح: ٢٨].

٣- ومنها: **الإيضاحُ بعد الإبهامِ**، نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

(١) الشاهدُ قولُه: «واللُّغة العربية»؛ لأنها مِن دروسهم، لكن نَصَّ عليها لِمَا سيأتي، ومِثْلُه قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القَدْر: ٤]، فـ«الرُّوحُ» بعضُ الملائكةِ، فهو من باب ذِكْرِ الخاصِّ بعد العامِّ.

(٢) قولُه: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ هذا خاصٌّ، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ أَعَمُّ لكنَّه خاصٌّ بالنسبة لقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، فصارت الآية فيها تَرَقٍّ من العامِّ إلى ما هو أَعَمُّ، ﴿ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ ووالِداه يدخلان بيتَه، ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، والفائدةُ: إرادةُ العموم بعد التخصيص.

في هذه الآية دليلٌ على أنَّ أَبَوَيْ نوح كانا مؤمنَيْنِ؛ لأنَّه استغفَرَ لهما ولم يُنْهَ عن ذلك، بخلاف إبراهيم عليه السلام، فإنَّه استغفَرَ لأبَوَيْه ولكنَّه نُهِيَ عن الاستغفار لأبيه، قال الله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١](*).

(*) ثم نُهِيَ عن الاستغفار لأبيه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

٤- ومنها: التكريرُ لِغَرَضٍ:

كطُولِ الفَصْلِ في قوله [الطويل]:

وإنَّ امْرَأً دامَتْ مواثيقُ عَهْدِهِ   على مِثْلِ هذا إنَّهُ لَكَريمُ(١)

وكزيادةِ الترغيبِ في العَفْوِ، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) [التغابن: ١٤].

وكتأكيدِ الإنذارِ، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٣) [التكاثر: ٣-٤].

٥- ومنها: **الاعتراضُ**: وهو تَوَسُّطُ لفظٍ بين أجزاءِ جملةٍ أو بين جملتين مرتبطَتين معنىً لِغَرَضٍ، نحو [السريع]:

---

(١) الشاهد قوله: «إنَّه لَكريم»، لو حَذَفَ «إنَّه» وقال:

وإنَّ امْرَأً دامَتْ مواثيقُ عَهْدِهِ   على مِثْلِ هذا لَكَريمُ

يستقيم الكلامُ، لكن لطول الفصل أعاد فقال: «إنَّه لَكريم».

(٢) قوله: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟﴾، ﴿تَعْفُوا۟﴾: هذا العَفو، لكنَّ العافيَ قد لا يَصْفَحُ، قد يتكلَّم فيمَن جَنَى عليه، لكن إذا صَفَحَ - يعني: أَعْرَضَ عنه وولَّاه صَفْحَةَ عُنُقِه - صار أَبْلَغَ من مجرَّد العَفو، ﴿وَتَغْفِرُوا۟﴾: هذا أبلغ، بأن تَستُرُوا عليهم، ولا يَبقَى في قلوبكم شيءٌ، فهو من باب التَّرَقِّي من الأدنَى إلى الأعلى(*).

(٣) وكذلك في سورة النَّبأ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآيتان: ٤-٥].

(*) سُئِلَ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: ما الفرق بين العَفو والصَّفح؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: **العفو**: عدم المؤاخَذة، **والصَّفح**: الإعراض عن المعاقَبة إعراضاً تامّاً كأنَّ شيئاً لم يكن، لأنَّه رُبَّما يعفو ولا يُعاقِب لكنْ يبقى في قلبه شيءٌ، هذا عفا ولم يَصْفَح، أيُّهما أكمل؟ الصَّفح.

إنَّ الـثـمـانـيـنَ - وبُـلِّـغْـتَـهـا - قد أَحْوَجَتْ سَمْعِيْ إلى تَرْجُمانْ[(١)]

ونحو قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ - سُبْحَٰنَهُۥ - وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[(٢)] [النحل: ٥٧].

٦- ومنها: **التَّذْييلُ**: وهو تَعْقيبُ الجملةِ بأُخْرَى تَشتمِلُ على معناها تأكيداً لها، وهو:

إمَّا أن يكونَ **جارياً مجرَى المَثَلِ**؛ لاَستقلالِ معناه واستغنائِه عمَّا قَبْلَه، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإمَّا أن يكونَ **غيرَ جارٍ مجرَى المَثَلِ**؛ لعدم استغنائِه عمَّا قَبْلَه، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[(٣)] [سبأ: ١٧].

(١) هذا توسُّطُ لفظٍ بين أجزاءِ جملةٍ، الجملة: «الثمانين» و«قد أَحْوَجَتْ»، و«بُلِّغْتَها» جملة مُعترِضَة، يُخاطِب المَلِكَ يقول: «وبُلِّغْتَها أنت»، فجملةُ «وبُلِّغْتَها» دُعائيَّةٌ يدعو له بأن يَبْلُغَ الثمانين، «قد أَحْوَجَتْ سمعي إلى تَرْجُمان» يعني أنَّه ثَقُلَ سمعُه لمَّا بَلَغَ الثمانين، واحتاجَ إلى ترجمان يعني: أحد يُبلِّغ؛ لأنَّ المُبلِّغَ مُتَرْجِمٌ.

(٢) هذا بين جملتين ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾، والمقصودُ بذلك تنزيهُ اللّهِ عزَّ وجلَّ عمَّا جَعَلُوه له من البنات، وهذه الكلمة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ في هذا الموضع من أَحْسَنِ ما يكون مَوْضِعاً، كقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]، فالاحتراز هنا من أَحْسَنِ ما يكون.

(٣) الشاهدُ في الآيةِ الأُولى قولُه: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، فهذا يصلح أن يكون مَثَلاً، كُلَّما قيل لك: «إنَّ الباطِلَ خُذِلَ صاحبُه» تقول: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.

الثاني: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ لا يمكن أن تَجْعَلَها مَثَلاً؛ لأنَّها مُرتبطَةٌ بما قبلها: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ هذا يُسمَّى التذييل؛ لأنَّ الجملةَ الثانية وَقَعَتْ ذَيْلاً للجملة الأُولى. =

٧- ومنها: **الاحتراسُ**: وهو أن يُؤْتَى في كلامٍ يُوهِمُ خِلافَ المقصودِ بما يَدْفَعُه، نحو [الكامل]:

فَسَقى دِيارَكِ غيرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الرَّبيعِ ودِيمَةٌ تَهْمي(١)

= **وهنا: التذييل، والحاشية، والهامش، بينها فَرْقٌ:**

١- **الهامش** يكون عن اليمين أو اليسار أو فوق.

٢- **والحاشية** أسفل.

٣- **والتذييل** أن يُؤْتَى بجملة بعد جملة لكنْ لها اتصال بها ونوع من التكميل.

(١) الشاهد قوله: «غيرَ مُفْسِدِهما»، لأنه لو قال: «فسقى ديارَكِ صَوْبُ الربيعِ وديمةٌ تهمي»؛ لَأَوْهَمَ أنّه إذا كَثُرَ المطرُ يُفسِد الديارَ، فقال: «غيرَ مُفْسِدِها»، هذا احتراس.

* * *

وبهذا انتهى عِلْمُ المعاني، وأرجو اللهَ سبحانه وتعالى أن تكونوا انْتَفَعْتُم ولو ببعض الشيء، لأنّنا قَصَدْنا ألّا نُطَوِّلَ خوفاً من ألّا نُكَمِّلَ.

* * *

(أسئلة الطلبة للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ)

س١:

الطالب: في الدعاء، هل الأفضل الإطناب أو المساواة(*)؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، الأفضل الإطناب، الغالبُ في الدعاءِ الإطنابُ، وقد يكون إيجازاً مثل: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] هذا إيجازٌ يشمل ما لا يُحْصَى، لكن: «اللهم اغفر لي جِدِّي، وهَزْلي، وخَطَئي، وعَمْدي»، «اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ، وما أخَّرتُ، وما أعلنتُ، وما أسررتُ»؛ هذه كلُّها إطنابٌ.

س٢:

الطالب: هناك نوع من الإطناب من البعض(**) يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وعَمِّي وخالي...»؟ =

(*) لعلّ الطالِبَ أرادَ بالمُساواةِ الإيجازَ.

(**) في الأصل: «بعض الأئمة».

= **فأجاب** رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا إطنابٌ غيرُ محمودٍ، يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وأُمّي وخالي وعَمّي وجَدّي وجاري وصديقي...»!!، الإطنابُ فيما يتعلّق بنَفْسِ الإنسان.

س٣:

الطالب: ما الفرق بين الزيادة المتعيِّنة والزيادة غير المتعيِّنة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: الفرق بينهما أنّه إذا كان العطف بالواو فالزيادة غير متعيِّنة؛ لأنَّ الواو تقتضي التشريكَ، فلا يُدرَى أيُّهما المقصود، أمّا إذا كان ليس بينهما عطف فالزيادة هي الأخيرة.

س٤:

الطالب: ما الفرق بين البدل والبيان؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: **البدل**: مساواة الشيء للشيء، مثل «زيد أخوك»، «قام زيد أخوك»، أمّا البيان فهو لا بُدَّ أن يكون فيه زيادةُ معنىً تُوَضِّحُ.

س٥:

الطالب: اللهُ سبحانه وتعالى يَسمَع من العبد كلامَه، ويَعرِف معنى ما يَقصِد، ويَفهَم ما يريد...

الشيخ مُصَوِّباً: قل: «يَعلَم» أحسن من «يَفهَم»؛ اللهُ لا يُوصَف بالفهم(*).

الطالب مُكمِلًا: لكن الرسول ﷺ والسلف الصالح إذا دَعَوا اللهَ سبحانه وتعالى بَسَطُوا الدعاءَ، واللهُ يَعلَم كلَّ شيءٍ يا شيخ!، لا بُدَّ أنَّ هذا فيه فائدة، لا أدري ما فائدتُه؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: الفائدة هو إظهار الفقر إلى الله عزَّ وجلّ، كلّما كثُرَ الدعاءُ فهذا يُكْثِرُ إظهار الحاجة والفقر إلى الله عزَّ وجلّ، ثانياً: جَرتِ العادةُ أنَّ الحبيبَ مع حبيبه يحب التبسُّطَ معه والزيادةَ في المُناجاة، ثالثاً: استحضار كلِّ واحد، يعني مثلًا: «اغفر لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجِلَّه»، تستحضر جميع أنواع الذنوب: الدقيق، والجليل، والذي أسرَرْتَه، والذي أعلَنْتَه.

(*) من عقيدة أهل السُّنّة والجماعة أصحاب الحديث أنّ صفاتِ اللّهِ سبحانه وتعالى توقيفيةٌ، فلا يُوصَف اللّهُ عزَّ وجلّ إلا بما وَصَفَ به نفسَه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلم يَرِد في نصوص الكتاب والسُّنّة وصفُ اللّهِ عزَّ وجلّ بالفهم، خلافاً لصفة العِلْم التي اتَّصَفَ بها كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨].

عِلْمُ البَيانِ

عِلْمُ البَيَان

البيانُ: عِلْمٌ يُبْحَثُ فيه عن التشبيهِ، والمَجازِ(١)، والكِنايةِ(٢).

* * *

(١) معلومٌ أنَّ المؤلِّفَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كغيرِه من عامَّةِ العلماءِ [الذين] يُثْبِتُون المجازَ، والمسألةُ خلافيةٌ: هل في اللُّغة العربية مجازٌ، أو كلُّها حقيقةٌ، أو كلُّها مجازٌ؟

بعضُ العلماءِ يقول- علماءِ اللُّغة-: «كلُّ ألفاظِ اللُّغة العربية كلُّها مجازٌ، حتى قول الإنسان «قام زيدٌ» مجازٌ»، وقد تكلَّم على هذا ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الصواعق المرسَلة»، وقرأتُ هذا في مختصَر الصواعق، وبيَّن أقوالَ الناسِ في هذا.

(٢) الكنايةُ نوعٌ من المجاز كما سيأتي.

التشبيه

التشبيه

التشبيهُ: إلْحاقُ أَمْرٍ بأَمْرٍ في وَصْفٍ بأداةٍ لِغَرَضٍ[١].

والأمرُ الأوَّلُ يُسمَّى: المُشَبَّهَ، والثاني: المُشَبَّهَ به، والوَصْفُ: وَجْهَ الشَّبَهِ، والأداةُ: الكافُ أو نحوُها، نحو: «العِلْمُ كالنُّورِ في الهدايةِ»؛ فـ:

- «العِلْمُ»: مُشَبَّهٌ.
- و«النُّور»: مُشَبَّهٌ به.
- و«الهداية»: وَجْهُ الشَّبَهِ.
- والكافُ: أداةُ التشبيهِ[٢].

ويَتعلَّقُ بالتشبيهِ ثلاثةُ مباحِثَ: الأوَّلُ في أركانِه، والثاني في أقسامِه، والثالثُ في الغَرَضِ منه.

* * *

(١) **إلحاقُ أمرٍ بأمرٍ**: هناك مُلْحَقٌ ومُلْحَقٌ به.
في وَصْفٍ: لا بُدَّ أن يكون هناك وَصْفٌ جامعٌ.
بأداةٍ: وهي أداةُ التشبيه كـ «الكاف» و«مِثْل» و«كأنَّ» وما أشبه ذلك.
لِغَرَضٍ: أي: لِغَرَضٍ من أغراض التشبيه، فإذا قلت: «فلانٌ كالبحر» ما الغرض؟ كثرةُ الكَرَم، وسَعَةُ الكَرَم، فلا بُدَّ من غَرَضٍ، وستأتي - إن شاء الله- أغراضُ التشبيهِ.

(٢) إذاً أربعةُ أركانٍ: مُشبَّهٌ، مُشَبَّهٌ به، أداةُ تشبيهٍ، وَجْهُ شَبَهٍ، أضعفُ أنواعِ التشبيهِ هو الذي ذُكِرَ فيه جميعُ أركانِ التشبيهِ.

المبحث الأول في: أركان التشبيه

أركانُ التشبيهِ أربعةٌ: المُشَبَّهُ، والمُشَبَّهُ به- ويُسَمَّيانِ طَرَفَي التشبيهِ-، ووَجْهُ الشَّبَهِ، والأداةُ.

ووَجْهُ الشَّبَهِ: هو الوَصْفُ الخاصُّ الذي قُصِدَ اشْتِراكُ الطَّرَفَيْنِ(١) فيه، كـ «الهداية» في «العِلْم» و«النُّور»(٢).

وأداةُ التشبيهِ: هي اللَّفظُ الذي يَدُلُّ على معنى المُشابَهَةِ، كـ «الكاف» و«كأنَّ» وما في معناهما(*).

والكافُ يَليها المُشَبَّهُ به، بخلاف «كأنَّ» فيَليها المُشَبَّهُ، نحو [الطويل]:

كَأَنَّ الثُّرَيَّا راحَةٌ تَشْبُرُ الدُّجى   لِتَنْظُرَ طالَ اللَّيلُ أَمْ قد تَعَرَّضَا

و«كأنَّ» تُفيدُ التشبيهَ إذا كان خبرُها جامِداً، والشَّكَّ إذا كان خبرُها مُشْتَقّاً(**)، نحو: «كأنَّكَ فاهِمٌ» (٣).

(١) «الطرفين» يعني: المُشَبَّه والمُشَبَّه به.
(٢) أين المثال الذي ذَكَرَ؟: «العِلْمُ كالنُّور في الهداية».
(٣) هذه فائدة:
- إذا كان خَبَرُ «كأنَّ» جامداً فهي للتشبيه، تقول: «كأنَّك أَسَدٌ»، أسد: جامد، «كأنَّك =

(*) أداة التشبيه إمّا أن تكون:
١- اسماً: مِثل، شِبْه، نحو...
٢ - فعلاً: يَحكي، يُشابِه، يُضاهي، يُضارع، يُماثِل... (واسم الفاعل منها يفيد التشبيه).
٣- حرفاً: الكاف، كأنَّ.
(**) وقد تفيد التشبيهَ مع كون خبرها مشتقّاً، نحو: كأنَّك قائد شجاع.

وقد يُذْكَرُ فِعْلٌ يُنْبِئُ عن التشبيه، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا﴾[(١)] [الإنسان: ١٩].

وإذا حُذِفَتْ أداةُ التشبيهِ ووَجْهُهُ سُمِّيَ **تشبيهاً بليغاً**، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠]، أي: كاللِّباسِ في السَّتْرِ[(٢)].

* * *

= بَحْرٌ» جامد، هذه للتشبيه.

- إذا كان مُشْتَقّاً (سواءٌ كان فعلًا أو اسمَ فاعلٍ) فإنّه يكون للظَّنِّ، يقول المؤلِّف: «الشَّكّ»، والمراد: الظَّنُّ، مثاله: «كأنّك تَفْهَمُ» يعني: أَظُنُّكَ فاهِماً، وتقول: «كأنّك قد عَلِمْتَ هذا الشيءَ»، هذا أيضاً للظَّنّ.

(١) ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ يعني: «ظَنَنْتَهم».

﴿لُؤْلُؤًا مَنثُورًا﴾؛ لأنّهم يُشابِهون اللؤلؤَ المنثورَ.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ الضمير في «هم» يعود على الوِلْدان.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ يعني: بكَثْرَتِهم وحُسْنِهم وبَهائِهم.

المُهِمّ افْهَمُوا التشبيهَ، إذا اجتمعت أركانُ التشبيهِ الأربعةُ: المُشَبَّه، المُشَبَّه به، أداة التشبيه، وجه الشَّبَه؛ فالذي يليه المُشَبَّهُ: «كأنّ»، والذي يليه المُشَبَّهُ به: الكاف.

«كأنّ» تكون للتشبيه إذا كان خَبَرُها جامداً، تتعيَّنُ أن تكون للتشبيه، وتكون للظَّنِّ إذا كان خَبَرُها مُشْتَقّاً، سواءٌ اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو فعلًا مضارعاً أو فعلًا ماضياً، المهم أن يكون مُشْتَقّاً.

(٢) **التشبيه البليغ**: هو الذي حُذِفَتْ فيه أداةُ التشبيهِ ووَجْهُ الشَّبَهِ، تقول: «محمدٌ كالبحر في الكرم»، كيف نجعله بليغاً؟: «محمدٌ بَحْرٌ»، هذا بليغٌ؛ لأنّك بالَغْتَ في التشبيه حتى جعلْتَ المُشَبَّهَ نَفْسَ المُشَبَّهِ به.

وستأتينا- إن شاء الله تعالى- أقسامٌ أخرى، لكن المؤلِّف أراد أن يشير إشارةً.

المبحث الثاني في: أقسام التشبيه

ينقسم التشبيهُ باعتبارِ وَجْهِ الشَّبَهِ إلى تمثيلٍ وغيرِ تمثيلٍ(١):

- **فالتمثيلُ**: ما كان وَجْهُهُ مُنتَزَعاً مِن مُتَعَدِّدٍ، كتشبيهِ الثُّرَيَّا بعنقودِ العِنَبِ المُنَوَّرِ(٢).

- **وغيرُ التمثيلِ**: ما ليس كذلك، كتشبيهِ النَّجْمِ بالدِّرْهَمِ(٣).

وينقسم أيضاً- بهذا الاعتبار- إلى مُفَصَّلٍ ومُجْمَلٍ:

- **فالأول**: ما ذُكِرَ فيه وَجْهُ الشَّبَهِ، نحو [المُجْتَثّ]:

وَثَغْرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأَدْمُعِي كَاللَّآلِي(٤)

- **والثاني**: ما ليس كذلك، نحو: «النَّحْوُ في الكَلامِ كالمِلْحِ في الطَّعامِ»(٥).

---

(١) - فإن كان مُفرَداً بمُفرَد فغيرُ تمثيل.
- إذا كان جَمْعاً بمُفرَد فغيرُ تمثيل.
- إذا كان مُفرَداً بجَمْع فتمثيل.
- أو جَمْعاً بجَمْع فتمثيل.

(٢) هذا تمثيلٌ؛ لأنَّه مُرَكَّبٌ مِن الهيئةِ ومِن الحَبَّاتِ التي في الهيئةِ، الهيئة: جُزْمٌ مُنْضَمٌّ بعضُه إلى بعضٍ، الحَبَّاتُ مُتَعَدِّدَةٌ، فيُسمَّى هذا تشبيهَ **تمثيلٍ**.

(٣) وكتشبيه حَصَا الجِمارِ بحَبِّ الباقِلَّاء، هذا يكون غيرَ تمثيلٍ.

(٤) قوله: «في صَفاءٍ» هذا وَجْهُ الشَّبَهِ، «وَأَدْمُعِي كاللَّآلي» هذا المُشَبَّهُ به.

(٥) النحو في الكلام كالملح في الطعام **في تقويمه وتهذيبه وطعمه**، فوجه الشبه محذوف.

وينقسم باعتبارِ أداتِه إلى:

- **مُؤَكَّدٍ**: وهو ما حُذِفَتْ أداتُه، نحو: «هو بَحْرٌ في الجُودِ».

- **ومُرْسَلٍ**: وهو ما ليس كذلك، نحو: «هو كالبحر كَرَماً»(١).

ومِن المُؤَكَّدِ ما أُضِيفَ فيه المُشَبَّهُ به إلى المُشَبَّهِ، نحو [الكامل]:

والرِّيحُ تَعْبَثُ بالغُصونِ، وقد جَرَى ... ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ(٢)

* * *

(١) **الآن:**

- إذا وُجِدَ الطرفانِ فقط فهو بليغٌ.
- إذا حُذِفَ وَجْهُ الشَّبَهِ وبَقِيَتِ الأداةُ فهو **مُجْمَلٌ مُرْسَلٌ**.
- إذا حُذِفَتِ الأداةُ ووَجْهُ الشَّبَهِ فهو **مُؤَكَّدٌ مُفَصَّلٌ**.
- وإن وُجِدَ الجميعُ فهو ضعيفٌ، يُقال له: **مُرْسَلٌ مُفَصَّلٌ**.

(٢) «ذَهَبُ الأصيلِ» لأنَّ الأصيلَ- وهو آخِر النهار- يكون أصفرَ كالذهب، المُشَبَّهُ به: الذهب، والأصيل: مُشَبَّهٌ؛ لأنَّ الأصيلَ تَصْفَرُّ به الشمسُ فتكون كالذهب، «على لُجَيْنِ الماءِ» اللُّجَيْن: الفِضَّة، والمعنى: على ماءٍ كاللُّجَيْنِ.

المبحث الثالث في: أغراض التشبيه

الغَرَضُ مِن التشبيهِ:

١-**إمَّا بيانُ إمْكانِ المُشَبَّهِ**، نحو [الوافر]:

فإنْ تَفُقِ الأنامَ- وأنتَ مِنهُمْ- فإنَّ المِسْكَ بَعْضُ دَمِ الغَزَالِ

فإنَّه لمَّا ادَّعَى أنَّ الممدوحَ مُبايِنٌ لِأصلِهِ بخصائِصَ جَعَلَتْهُ حقيقةً مُنْفَرِدَةً؛ احْتَجَّ على إمْكانِ دَعْواهُ بتشبيهِهِ بالمِسْكِ الذي أَصلُهُ دَمُ الغَزَالِ(١).

٢- **وإمَّا بيانُ حالِهِ**، كما في قوله [الطويل]:

كأنَّك شَمْسٌ والملوكُ كواكِبُ إذا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنهُنَّ كَوْكَبُ(٢)

---

(١) يُسمَّى هذا النوعُ من التشبيه «**التشبيهَ الضِّمْنِيَّ**»؛ لأنَّه خلا من أدوات التشبيه.
يُخاطِب الممدوحَ يقول: «إن كنتَ أعلى من الأنام- وأنت منهم من مادتهم من تراب ثم من نطفة- فإنَّ ذلك مُمْكِنٌ، ودليلُ الإمكانِ أنَّ المِسْكَ بعضُ دَم الغزالِ»، ومعلومٌ الفَرْقُ بين الدم وبين المسك مع أنَّه أَصلُهُ(*)، يقول: «أنت أيضاً أيُّها المخاطَبُ أنت من الأنام، من تراب ثم من نطفة، ولكنَّكَ تفوقهم كما يفوق المِسْكُ دَمَ الغزالِ».
(٢) هذا يُبَيِّنُ حالَه مع الملوك، يقول: إنَّك أنت تفوق الملوكَ، وحالُكَ معهم كحال الشمس مع الكواكب، الشمسُ إذا طَلَعَتْ تختفي النجومُ، فهذا المَلِكُ بالنسبة للملوك =

(*) هنا أخذ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يشرح للطلبة عمليةَ استخراج المسك، فقال: «يقال: إنَّ هناك غِزلاناً معيَّنةً تُسمَّى غزالَ المسكِ، يُمَرِّنونها على رياضاتٍ معيَّنةٍ ثم يَنفتِحُ في بطنها سُرَّةٌ، ويُحكِمون عَزْلَ هذه السُّرَّةِ عن بقية البَدَن بخيط يربطونها جيِّداً حتى لا يَصِلَ إليها الدمُ، وبعد مدة تَيْبَس وتنفصل، هذا الدم الذي فيها هو المسك، وهو من أطيب أنواع الطِّيب، أصلُ هذا المسكِ ما هو؟ الدم، ومع ذلك صار طِيباً لا نظير له».

٣- **وإمَّا بَيانُ مِقْدارِ حالِهِ**، نحو [الكامل]:

فيها اثْنَتانِ وأَرْبَعونَ حَلُوبَةً سُوداً كخافِيَةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ

شَبَّهَ النُّوقَ السُّودَ بخافِيَةِ الغُرابِ؛ بياناً لِمِقْدارِ سَوادِها(١).

٤- **وإمَّا تقريرُ حالِهِ**، نحو [الكامل]:

إنَّ القلوبَ إذا تَنافَرَ وُدُّها مِثْلُ الزُّجاجَةِ كَسْرُها لا يُجْبَرُ

شَبَّهَ تَنافُرَ القلوبِ بكَسْرِ الزُّجاجَةِ؛ تثبيتاً لِتَعَذُّرِ عَوْدَتِها إلى ما كانت عليه مِن المَوَدَّةِ(٢).

= الآخَرين كالشمس مع الكواكب، تختفي معه الملوكُ في كلِّ شيءٍ: في الشجاعة، في الكَرَم، في السماحة، في الحِذْق، في كلِّ شيء.

(١) كثيراً ما يأتي التشبيهُ لبيانِ مِقْدارِ الشَّبَهِ، السَّوادُ معلومٌ أنَّه قد يكون فاتِحاً، وقد يكون شديدَ السَّوادِ، فهنا عَرَفْنا أنَّ هذه النُّوقَ الأربعين شديدةُ السَّوادِ.

(٢) هذا البيت ليس بصحيح؛ لأنَّ القلوبَ قد يتنافَرُ وُدُّها ثم يَرجع الوُدُّ وهذا كثيراً، ودليلُهُ قولُهُ تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤]، و[أيضاً](*): «**أَحْبِبْ حبيبَكَ هَوْناً ما؛ فعسى أن يكون بَغيضَكَ يوماً ما، وأبْغِضْ بَغيضَكَ هَوْناً ما؛ فعسى أن يكون حبيبَكَ يوماً ما**»، وهذا يُرْوَى حديثاً ولكنَّه ضعيفٌ.

الشاهدُ من هذا البيتِ غيرُ صحيحٍ، لكن على ما يريده الشاعرُ به نقول: هذا المقصودُ به تقريرُ الحالِ.

(*) قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بعدما تلا الآية: «وقال الشاعر» ثم ذكر الحديث، ولعله رَحِمَهُ اللهُ أراد قولَ النمر بن تولب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [المتقارب]:

أَحْبِبْ حبيبَكَ هَوْناً رُوَيْداً فقد لا يَعُولُك أن تَصرِمَا
وأَبْغِضْ بغيضَكَ هَوْناً رُوَيْداً إذا أنتَ حاوَلْتَ أن تَحكُما

والحديث رواه الترمذي (٢٨/ ٦٠) وغيرُه، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ١٧٨).

٥- وإمّا تَزْيِينُهُ، نحو [مجزوء الكامل]:

سَوْداءُ واضِحَةُ الجَبِيـ ... ـنِ كَمُقْلَةِ الظَّبْيِ الغَريرِ

شَبَّهَ سوادَها بسوادِ مُقْلَةِ الظَّبْيِ؛ تحسيناً لها(١).

٦- وإمّا تَقْبِيحُهُ، نحو [الكامل]:

وإذا أشارَ مُحَدِّثاً فكأنَّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أو عَجوزٌ تَلْطِمُ(٢)

وقد يَعودُ الغَرَضُ إلى المُشَبَّهِ به إذا عُكِسَ طَرَفَا التشبيهِ، نحو [الكامل]:

---

(١) هذا يَخاف أن يَهْجُوَهُ الناسُ باختيار السّوداءِ، فبَيَّنَ أنَّ سوادَها كمُقْلَةِ الظَّبْيِ الغريرِ، وهذا لا شَكَّ أنّه تحسينٌ.

(٢) هو إذا قام يتحدَّث صار مِثْلَ القردِ الذي يضحك، وإذا قام يشير بحديثه صار كأنّه عجوزٌ تَلْطِمُ على رأسِها، عندما يسمع الإنسانُ عن هذا الخطيبِ أنّه بهذه الحال؛ [فهل] يَرْغَبُ في سماعه؟ لا؛ لأنَّه قَبَّحَهُ عنده.

يقول الشاعرُ(*) في العَسَل [البسيط]:

تقولُ: «هذا مُجاجُ النَّحلِ»، تَمْدَحُهُ ... وإن تَشَأْ قُلْتَ: «ذا قَيْءُ الزَّنابيرِ»

مَدْحاً وَذَمّاً وما جاوَزْتَ وَصْفَهُما ... والحقُّ قد يَعْتَرِيهِ سوءُ تعبيرِ

وهذا صحيح، ولهذا قال النبي ﷺ: «إنَّ من البيانِ لَسِحراً»(**)، أحياناً يتكلَّمُ الإنسانُ (وعنده فصاحةٌ) عن شيءٍ كنتَ راغباً فيه، فإذا به يُنَزِّلُهُ إلى أسفلَ من القَدَمَيْنِ، أو بالعكس.

(*) هو ابن الرومي، أمّا رواية الأبيات كما في «ديوانه/ ١٥٢»:

في زخرفِ القولِ ترجيحٌ لقائِله ... والحقُّ قد يعتريه بعضُ تغييرِ

تقولُ: «هذا مُجاجُ النحلِ» تمدحُهُ ... وإنْ تَعِبْ قلت: «ذا قَيْءُ الزَّنابيرِ»

مدحاً وذمّاً وما جاوزتَ وصفَهما ... سِحْرُ البيانِ يُري الظَّلْماءَ كالنورِ

(**) رواه البخاري (٧٦/ ٥١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، ومسلم (٧/ رقم: ٤٧) عن عمّار بن ياسر رضي الله عنهما.

وَبَـدَا الـصَّـبـاحُ كـأنَّ غُـرَّتَـهُ   وَجْـهُ الـخـلـيـفـةِ حـيـنَ يُـمْـتَـدَحُ

ومِثْلُ هذا يُسَمَّى بالتشبيهِ المقلوبِ[1].

* * *

(١) «بدا الصَّباحُ» والصَّباحُ إذا بدا بدا مُسفِراً، «كأنَّ غُرَّتَهُ» يعني: بياضَهُ «وَجْهُ الخليفةِ حينَ يُمْتَدَحُ»، وكان الأَوْلى أن يقول: «كأنَّ وَجْهَ الخليفةِ حين يُمْتَدَحُ غُرَّةُ الصَّباحِ»، لكنَّه عَكَسَ، فيكون هنا الغرضُ تحسينَ المُشَبَّهِ به.

المَجاز

المَجاز(١)

هو اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ في غيرِ ما وُضِعَ له لِعَلاقَةٍ مع قرينةٍ مانِعَةٍ من إرادةِ

(١) المجازُ هل هو موجودٌ في اللُّغة أو لا؟

مِن العلماء مَن أنكر أن يكون موجوداً في اللُّغة، وحُجَّتُهُ أنَّ المعنى إنَّما يُعَيِّنُهُ السياقُ وقرائِنُ الأحوالِ، وأنَّ الكلماتِ نَفْسَها ليس لها معنى ذاتيٌّ بل هي بحَسَبِ التركيب، وإذا كانت بحَسَبِ التركيب صار الذي يُعَيِّنُ المعنى هو السياقُ، وإذا تَعَيَّنَ المعنى فهذا هو الحقيقة، فإذا قلت: «رأيتُ أسداً يحمل سيفاً» هل يمكن لأيِّ واحدٍ يسمع هذا الكلامَ أن يَشْتَبِهَ عليه الأسدُ الحقيقيُّ بالأسدِ الشجاعِ، أو لا يمكن؟: لا يمكن، إذاً هو حقيقة، هذا اللُّفظ مُستعمَلٌ حقيقةً في موضعه بقرينة الحال، لكن لو قلت: «رأيتُ أسداً» فهنا لا يمكن أن يُراد به الرَّجُلُ الشجاعُ؛ لأنَّ الكلمةَ موضوعةٌ في الأصل للحيوان المُفترِس المعروف، فتُحْمَلُ عند عدم القرينةِ على ما وُضِعَتْ له أولًا، وهذا الذي حقَّقه شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ وأطال فيه في كتاب «الإيمان»(*)، ولَخَّصَهُ تلميذُهُ ابنُ القيِّم وقرَّبه إلى الأفهام بكتابه «الصواعق المرسَلة على الجَهميَّة والمُعَطِّلَة».

على كلِّ حالٍ يرى هؤلاء العلماءُ أنَّه لا مجازَ في اللُّغة مُطْلَقاً، حُجَّتُهم أنَّ المعنى يُعَيِّنُه السياقُ، وأنَّ الكلمةَ بسياقها لا يمكن أن يُراد بها إلا ما سِيقَتْ له وهذا هو الحقيقة.

ومنهم مَن يرى أنَّ المَجازَ في اللُّغة واقِعٌ وفي القرآن ممنوعٌ، كالشيخ الشنقيطيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: محمد الأمين، فإنَّه ألَّف رسالةً(**) تدلُّ على أنَّ المَجازَ ممنوعٌ في القرآن لكنَّه موجودٌ في اللُّغة العربية، حُجَّتُهُ في ذلك يقول: إنَّ من علاماتِ المجازِ جوازَ نَفْيِهِ، ولا شيء في القرآن يجوز نَفْيُهُ، فَبَطَلَ أن يكون في القرآن مجازٌ، مثال ذلك لو قلت: «رأيتُ أسداً يحمل سيفاً» يجوز لأيِّ واحدٍ أن يُعارِضَكَ ويقول: «هذا ليس بأسدٍ، هذا رَجُلٌ شجاعٌ»، فمن علاماتِ المجازِ صِحَّةُ نَفْيِهِ، وليس في القرآن ما يصح نَفْيُهُ. =

(*) وانظر «مجموع الفتـاوى»: (٦/ ٢١ - ٢٢) (٧/ ٨٧ - ٩٠) (٧/ ١١٢ - ١١٤) (١٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠) (١٧/ ٨٩ - ٩٠) (٢٠/ ٤٠٣ - ٤٠٤) (٢٠/ ٤٥٤ - ٤٥٨) (٢٠/ ٤٦٤ - ٤٨٨) (٢٠/ ٤٩٠ - ٤٩٣).

(**) وهي بعنوان: «مَنْعُ جوازِ المجازِ في المُنَزَّلِ للتعبُّدِ والإعجازِ».

المعنى السابقِ[1]، كـ «الدُّرَر» المُسْتَعْمَلَةِ في الكلماتِ الفصيحةِ في قَوْلِك: «فلانٌ

= **لكنْ ما ذهب إليه شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أقربُ إلى الصواب**، ما دُمْنا نقول: «إنَّ المعنى تابعٌ للسياقِ وقرائنِ الأحوالِ»؛ فإنَّه لا مجازَ فيه، ولهذا نَجِدُ الفَرْقَ حتى في نَبَراتِ الصوتِ، لو قلت لواحِدٍ: «اسْكُتْ» [قالها الشيخ بهدوء]، وآخَرَ: «اسْكُتْ» [قالها بشدَّة]؛ يُفْهَمُ من الأول: الأمرُ بالسكوت بطمأنينة، ومن الثاني: الزَّجْرُ بشدة، مع أنَّ الاختلافَ في الأداء فقط، فالمعاني تُعَيِّنُها السياقاتُ والقرائنُ.

لكن الجمهور على ثبوت المجاز في القرآن وفي اللُّغة العربية، فَلْنَنْظُرْ ما هو المجاز عندهم؟.

(١) يقول:

«**هو اللَّفظُ المُستعمَلُ في غيرِ ما وُضِعَ له**»، فخرج به: اللَّفظُ المُستعمَلُ فيما وُضِعَ له، فإذا استَعْمَلْتَ «أسداً» في الحيوان المفترِسِ فهو غيرُ مجازٍ، وإذا استَعْمَلْتَه في الرَّجُل الشجاع فهو مجازٌ، لكن لا بُدَّ من قيود.

«**العَلاقةِ**» يعني: لا بُدَّ أن يكون بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي عَلاقةٌ، ولهذا لا نستعمل الخُبْزَ بَدَلَ الثياب، لو قلتُ: «اشْتَرِ لي ثياباً»، فذهبتَ واشتريتَ بها خُبْزاً وأتيتَ إليَّ بكيس خُبْز؛ أنا قلتُ لك: ثياب!!، قلتَ: هذه مجاز، نقول: لا يصح المجازُ هذا، لماذا؟ لا علاقة بين هذا وهذا.

«**مع قرينةٍ مانِعَةٍ من إرادةِ المعنى الحقيقي**»، فإن لم تُوجَد قرينةٌ تَمنَع من إرادة المعنى الحقيقي فليس بمجاز، ولا يجوز أن يُحمَلَ على المجاز إذا لم يكن قرينة، ولهذا نقول للذين حرَّفوا آياتِ الصفاتِ وأحاديثَها: «ليس عندكم قرينةٌ تَمنَع من إرادة المعنى الحقيقي»، فإذا قالوا: «اليد بمعنى النِّعمة»، قلنا: «لماذا؟» قالوا: «لأنَّ هناك ما يَمنَع إرادةَ المعنى الحقيقي- وهو عندهم: العقل-، ما يمكن أن يكون له يَدٌ يَلْزَمُ أن يكون جِسْماً، وأن يكون مُماثِلًا للمخلوقات، وهذا مُمْتَنِعٌ»، ولذلك صار ارتكابُ المجازِ ركيزةً يَرْتَكِزُ عليها المُعَطِّلَةُ ومَشَوْا على هذا.

الشروط:

١- أن يكون مُستعمَلًا في غير ما وُضِعَ له.

٢- أن يكون هناك عَلاقةٌ بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

٣- أن تُوجَد قرينةٌ تَمنَع من إرادة المعنى الحقيقي.

يتكلَّمُ بالدُّرر»، فإنَّها مُسْتَعْمَلَةٌ في غيرِ ما وُضِعَتْ له، إذْ قد وُضِعَتْ في الأصلِ لِلَّآلِئِ الحقيقيةِ، ثم نُقِلَتْ إلى الكلماتِ الفصيحةِ لِعَلاقَةِ المُشابَهَةِ بينهما في الحُسْنِ، والذي يَمْنَعُ من إرادةِ المعنى الحقيقيِّ قرينةُ «يتكلَّم»(١).

وكـ «الأصابع» المُسْتَعْمَلَةِ في «الأنامِل» في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، فإنَّها مُسْتَعْمَلَةٌ في غيرِ ما وُضِعَتْ له لِعَلاقَةِ أنَّ الأَنْمُلَةَ جُزْءٌ من الإصبع، فَاسْتُعْمِلَ الكلُّ في الجُزْءِ، وقرينةُ ذلك أنَّه لا يُمْكِنُ جَعْلُ الأصابعِ بتمامِها في الآذانِ(٢).

والمَجازُ إن كانت عَلاقَتُهُ المُشابَهَةَ بين المعنى المجازيِّ والمعنى

(١) العَلاقةُ هنا: الحُسْنُ، ولذلك إذا قلنا: «فلانٌ يتكلَّم بكلامٍ كالدُّرَر» وسُئِلْنا: «أين وَجْهُ الشَّبَهِ»؟؛ قلنا: «الحُسْنُ»، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينةٌ وهي «يتكلَّم»؛ لأنَّه لا يمكن أن الدُّرَرَ - التي هي اللآلِئ - تَخرُج من فيه إذا قام يتكلَّم، فصار «يتكلَّم» قرينةً مانِعَةً من إرادة المعنى الحقيقي.

(٢) ومن المعلوم أنَّه لا يمكن أن يَجعَل الإنسانُ كلَّ الإصبع في الأُذُن، إذ أنَّ المعروفَ أنَّ ثَقْبَ الأُذُنِ لا يَدخُل فيه الإصبعُ، لا من جهة السعة ولا من جهة العُمْق، فعندنا الآن قرينةٌ مانِعَةٌ وهي: أنَّ الأصابع لا يمكن أن تُدخَلَ كلُّها في الآذان، والمقصود: يجعلون أنامِلَهم في آذانهم، فَاستَعْمَلَ الأصابعَ في الجزء من الأصابع، العَلاقة: أنَّ الأَنْمُلَةَ التي عُبِّرَ عنها بالإصبع جُزْءٌ من الإصبع، فَاستَعمَلَ الكلَّ في الجزء، وقرينةُ ذلك: أنَّه لا يمكن جَعْلُ الأصابعِ بتمامها في الآذان.

أمَّا الذين يمنعون المجازَ فيقولون: من المعلوم عند كلِّ مخاطَبٍ أنَّك إذا قلت: «فلانٌ جَعَلَ إصبعَه في أُذُنِه» فالمراد: جَعَلَ جُزءاً منه، ليس المراد أنَّه أَدْخَلَ إصبعَه كلَّه، لكن أحياناً يُقصَد بذلك المبالَغةُ.

الحقيقيِّ- كما في المثال الأول- **يُسَمَّى استعارةً**، وإلَّا **فمَجازٌ مُرْسَلٌ** كما في المثال الثاني[1].

* * *

(١) إذا كانت العَلاقةُ هي المشابَهَةَ فهو استعارةٌ، وهذا هو الأكثر في المجاز، وإن كانت العَلاقةُ غيرَ المشابَهَةِ سُمِّيَ مجازاً مُرْسَلًا، مثل: إطلاق الكل على البعض، أو البعض على الكل، أو السبب على المُسَبَّب، أو المُسَبَّب على السبب.

الضابط: أنَّ الاستعارةَ تكون عَلاقتُها المشابَهَةَ، وما كان عَلاقتُه غيرَ المشابَهَةِ فهو مجازٌ مُرْسَلٌ.

الاسْتِعارَة

الاسْتِعارَة

الاستعارَةُ: هي مَجازٌ عَلاقتُهُ المُشابَهَةُ، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، أي: مِن الضَّلالِ إلى الهُدَى، فقد استُعْمِلَتِ «الظُّلُماتُ» و«النُّورُ» في غيرِ معناهما الحقيقي، والعَلاقةُ: المُشابَهَةُ بين «الضَّلالِ» و«الظَّلامِ»، و«الهُدَى» و«النُّورِ»، والقرينةُ: ما قَبْلَ ذلك(١).

(*)[ويقال في إجرائها: شُبِّهَتِ «الضَّلالَةُ» بـ «الظُّلْمَةِ» بجامع عدم الاهتداء في كلٍّ، واستُعيرَ اللفظُ الدالُّ على المُشَبَّهِ به وهو «الظُّلْمَةُ» للمُشَبَّهِ وهو «الضَّلالَةُ»

---

(١) ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ الكتاب هو القرآن، والخطاب للنبي ﷺ، وأُضِيفَ الإخراجُ إليه؛ لأنَّه هو السبب، وإلَّا فالمُخرِجُ حقيقةً هو اللَّهُ عزَّ وجلَّ، ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: من ظلمات الجهل، ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: إلى نور العِلْم.

لو أنَّا أخَذْنا ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ على إطلاقها لكان المعنى: أنَّ الرسولَ ﷺ يُخْرِجُ الناسَ من الظِّلال- يعني: الظِّل- إلى الشمس مثلًا، أو من الحُجْرَة إلى فِنائِها، لكن هل هذا المرادُ؟ لا، المراد ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: من الجهل الذي هو الضَّلال ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ يعني: إلى العِلْم والهُدَى.

القرينة المانِعة من إرادةِ الظُّلْمَةِ الحِسِّيَّةِ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾، فالقرآن لا يَخْرُجُ به الناسُ من الظُّلُمات الحِسِّيَّة إلى النور الحِسِّي، بل من الظُّلُمات المعنوية إلى النور المعنوي.

العَلاقة: المشابَهَةُ؛ لأنَّ الجهلَ يُشبِهُ الظُّلْمَةَ، إذ أنَّ الجاهِلَ لا يهتدي، لا يدري، حيران، والعِلْمَ يُشبِهُ النورَ في الاهتداء.

(*) ما بين المعكوفتَينِ حاشيةٌ للمؤلِّفِينَ على قولهم «إلى الهدى»، وقد علَّق عليها الشيخ رحمه الله.

على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية][١].

وأصلُ الاستعارةِ تشبيهٌ حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ ووَجْهُ شَبَهِهِ وأداتُهُ[٢].

---

(١) ويقال أيضاً في «النُّور» كذلك: شُبِّهَ العِلْمُ بالنُّور بجامع الاهتداء في كلٍّ، ثم استُعيرَ لفظُ «النُّور»- لفظُ المُشَبَّهِ به- للمُشَبَّهِ على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.
- **التصريحية**: هي التي يُستعار فيها المُشَبَّهُ به للمُشَبَّهِ.
- **الأصلية**: هي التي ليست مُشْتَقَّةً، أمَّا المُشْتَقَّةُ فإنَّها تكون تبعيةً،ووَجْهُ ذلك أنَّك استعرتَ المعنى أولًا ثم حوَّلْتَهُ إلى مُشْتَقِّهِ: اسمِ الفاعلِ، أو اسمِ المفعولِ، أو الفعلِ المبني للفاعل، أو المبني لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ.

(٢) نَعَمْ، هذا أصل الاستعارة، أصلها التشبيه، مثال ذلك: «محمدٌ كالبحر في العطاء»:
- اِحذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ: محمدٌ كالبحر.
- اِحذِفِ الأداةَ: محمدٌ بحرٌ.
- اِحذِفْ أحدَ الطرفين، تقول: «رأيتُ بحراً يُنْفِقُ المالَ على الناس بلا حساب»، الآن ما بقي معنا من أركان التشبيه إلا طرف واحد وهو المُشَبَّهُ به.

وعلى هذا فإذا أردتَ أن تَأْخُذَ استعارةً كَوِّنْ أولًا تشبيهاً تامّاً ثم قَصِّصْهُ:

١- اِحذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ.

٢- ثم أداةَ التشبيهِ.

٣- ثم المُشَبَّهَ.

٤- ثم كَوِّنْ جملةً يَتِمُّ بها الكلامُ.

حَسَناً، أردتَ أن تمدح شخصاً بالعِلْم، فتقول: «عليٌّ كالبحر في السَّعَةِ»، ماذا تعمل؟

١- اِحذِفْ وَجْهَ الشَّبَهِ: عليٌّ كالبحر.

٢- اِحذِفْ أداةَ التشبيهِ: عليٌّ بحرٌ.

٣- اِحذِفِ المُشَبَّهَ وهو «عليٌّ».

٤- ما الذي يبقى معك؟ «بحر»، «بحر» كلمةٌ مُفْرَدَةٌ، اجْعَلْها في جملة مفيدة: «رأيتُ بحراً يُعَلِّمُ الناسَ». =

والمُشَبَّهُ يُسَمَّى مُستعاراً له، والمُشَبَّهُ به يُسَمَّى مُستعاراً منه، ففي هذا المثالِ: المستعارُ له هو «الضَّلالُ» و«الهُدَى»، والمُستعارُ منه هو معنى «الظَّلامِ» و«النُّورِ»، ولَفْظُ «الظُّلُماتِ» و«النُّورِ» يُسَمَّى مُستعاراً.

أ - وتنقسم الاستعارةُ [باعتبارِ ما يُذكَر مِن الطرفَينِ]:

١- **إلى مُصَرَّحَة:** وهي ما صُرِّحَ فيها بلفظ المُشَبَّهِ به، كما في قوله [البسيط]:

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً من نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ وَرْداً، وَعَضَّتْ على العُنَّابِ بالبَرَدِ

فقدِ استعارَ اللُّؤلُؤَ والنَّرْجِسَ والوَرْدَ والعُنَّابَ والبَرَدَ للدُّموعِ والعُيونِ والخدودِ والأناملِ والأسنانِ(١).

= حَسَناً، تريد أن تستعيرَ أسداً لرجل شجاع، ماذا تقول؟: «فلانٌ كالأسد في الشجاعة»:

١- اِحذِفْ وَجهَ الشَّبَهِ: فلانٌ كالأسد.

٢- اِحذِفْ أداةَ التشبيهِ: فلانٌ أسدٌ.

٣- اِحذِفِ المُشَبَّهَ: أسد.

٤- «أسد» لا بُدَّ أن تجعلها في جملة مفيدة، فتقول: «رأيتُ أسداً يحمل سيفاً».

ولذلك المؤلِّفُ قَرَّبَها [بقوله]: «أصلُ الاستعارةِ تشبيهٌ حُذِفَ أحدُ طرفَيْهِ ووَجهُ شَبَهِهِ وأداتُه».

(١) هذا البيت غريب، هل هو فصيح؟ نَعَمْ، لكنْ فصيحٌ تشدَّدَ في الاستعارة؛ استعار اللؤلؤَ للدموع، والنَّرْجِسَ للعيون، والوَرْدَ للخدود، والعُنَّابَ للأنامل، والبَرَدَ للأسنان، معناه: أنَّها بَكَتْ وحَصَلَ مِن بكائها ما ذُكِرَ.

لو قال قائِلٌ: ذَكَرْتُمْ أنَّ المَجازَ- سواءٌ علاقَتُه المشابهَةَ أو غيرَ المشابهَةِ- لا بُدَّ فيه مِن قرينةٍ وعَلاقةٍ، فما هي القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي؟، [القرينة:] أنَّه لا =

٢- **وإلى مَكْنِيَّة**: وهي ما حُذِفَ فيها المُشَبَّهُ به ورُمِزَ إليه بشيءٍ مِن لَوازِمِهِ، كقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فقدِ استعارَ الطائِرَ للذُّلِّ، ثم حَذَفَهُ، ودَلَّ عليه بشيءٍ مِن لَوازِمِه وهو الجَناحُ.

وإثباتُ الجَناحِ للذُّلِّ يُسَمُّونَهُ **استعارةً تَخْيِيلِيَّةً**(١).

= يمكن أن تُمْطِرَ لؤلؤاً، وكذلك يقال في الباقي، أمَّا **العلاقة** في كلِّ الكلمات هذه فهي المشابَهَةُ، شَبَّهَ دموعَها باللؤلؤ، والغرض من ذلك التحسين، وكذلك يقال في البواقي.

حَسَناً، ما العلاقة بين «العُنَّاب» و«الأنامل»؟ [**العلاقة**:] اللَّوْنُ؛ لأنَّ العُنَّابَ لَوْنُهُ أحمرُ، وهذه قد صَبَغَتْ أنامِلَها بالحِنَّاء، فصارت تُشْبِهُ العُنَّابَ.

(١) نَعَمْ؛ لأنَّ الذُّلَّ - حقيقةً - ليس له جناحٌ، لكن تَخَيَّلَهُ كأنَّه طائِرٌ له جناحٌ، فحَذَفَهُ ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه، مثال ذلك أيضاً قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦]، إذا جَعَلْنا الاستعارةَ في كلمة ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ نقول: شُبِّهَتِ الضَّلالةُ بالمتاع-؛ لأنَّ المتاع هو الذي يُشتَرَى-، وحُذِفَ المتاعُ ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو الشِّراءُ، فهذه استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ، وقال الشاعر(*) [الكامل]:

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظفارَها ... أَلْفَيْتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ

هل للمَنِيَّةِ أظفارٌ تنشب؟ لا، لكنَّه شَبَّهَ المَنِيَّةَ بالوَحْشِ أَنْشَبَ ظُفُرَهُ، وحَذَفَ الوَحْشَ، ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهي الأظفار.

صار:

- إذا وُجِدَ المُشَبَّهُ به فهي **تصريحيةٌ**.
- وإذا وُجِدَ المُشَبَّهُ وحُذِفَ المُشَبَّهُ به ورُمِزَ إليه بشيء من لوازمه فهي **مَكْنِيَّةٌ**.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، إذا قلنا: «إنَّ في القرآن مجازاً» فتخريجُها واضحٌ كما قال المؤلِّف، لكن إذا قلنا: «ليس فيه مجازٌ» فكيف نُخَرِّجُ الآيةَ؟، نُخَرِّجُ الآيةَ على أنَّ من المعروف أنَّ الذُّلَّ ليس له جناحٌ، لكن لَمَّا كان الإنسانُ إذا استعلى على غيره وتكبَّرَ عليه وارتَفَعَ صار كأنَّه طائرٌ، فأُمِرَ أن يَخفِضَ الجناحَ الذي يكون به الطيرانُ حتى=

(*) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوانه: ص ١٤٧».

ب - وتنقسم الاستعارةُ [باعتبار اللفظ المستعار](*):

١- **إلى أصليَّة**: وهي ما كان فيها المستعارُ اسماً غيرَ مُشْتَقٍّ، كاَستعارةِ «الظَّلامِ» لـ «الضَّلالِ»، و«النُّورِ» لـ «الهُدَى».

٢- **وإلى تَبَعِيَّة**: وهي ما كان فيها المستعارُ فِعْلًا أو حَرْفاً أو اسماً مُشْتَقّاً(١)، نحو: «رَكِبَ فلانٌ كَتِفَيْ غَريمِهِ»، أي: لازَمَهُ مُلازَمَةً شديدةً(٢)، وقولِه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [البقرة: ٥]، أي: تَمَكَّنُوا مِن الحُصول على الهدايةِ التامَّةِ(٣)، ونحو قوله [الكامل]:

= يَنزِلَ ويكونَ بالنسبة لوالِدَيْهِ ذليلًا، وحينئذٍ نقول: إنَّ السياقَ يَمنَع تماماً أن يكون المرادُ أنَّ الذُّلَّ طائرٌ له أجنحةٌ، وأنَّ اللَّهَ أَمَرَ أن يَخفِضَ له الجناحَ، فهذا شيء معروف أنَّه لا يمكن.

(١) إذا كانت الاستعارةُ في فعل أو حرف أو مُشْتَقٍّ فهي تَبَعِيَّةٌ، وإذا كانت في اسم جامد فهي أصليَّةٌ، وذلك واضح؛ لأنَّ أصلَ الأفعالِ والمُشْتَقَّاتِ مصادِرُ اشْتُقَّ منها كذا وكذا، فإذا قلت: «رأيتُ أسداً يحمل حقيبةً» فهي أصليَّةٌ؛ لأنَّها جَرَتْ في اسم جامد غيرِ مُشْتَقٍّ.

(٢) شَبَّهَ الملازَمَةَ بالركوب، فهنا «رَكِبَ» فِعْلٌ، فتكون تَبَعِيَّةً، أيضاً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] كُنَّا أَجْرَيْناها قبل قليل على أنَّها مَكْنِيَّةٌ لا تصريحيَّةٌ، يُمكن أن نُجْرِيَها تصريحيَّةً ونجعلَها في كلمة ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾، ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾ بمعنى: اخْتَارُوا الضَّلالةَ على الهُدَى، فشَبَّهَ اختيارَهم الضَّلالةَ على الهُدَى بالشِّراء بجامع الرَّغبة في كلٍّ منهما، ثم استعارَ لفظَ الاشتراءِ للاختيار، ثم اشتَقَّ من الاشتراء ﴿ٱشْتَرَوُاْ﴾، إذاً التَّبَعِيَّةُ أطولُ إجراءً من الأصليَّة؛ لأنَّ التَّبَعِيَّةَ لا بُدَّ أن تُجْرِيَها في أصل المعنى ثم تقول: «واشْتُقَّ منه كذا وكذا»، ولهذا سُمِّيَتْ تَبَعِيَّةً.

(٣) هل الهُدَى شيءٌ يُرْكَبُ؟ لا، لكن كلمة «الهُدَى» استُعيرت استعارةً مَكْنِيَّةً؛ وذلك لأنَّ الهدى- الذي هو المعنى وهو العِلْم- لا يمكن أن يُرْكَبَ، لكن شَبَّهَ مُلازَمَتَهُ للهدى بالركوب عليه(**).

(*) سواء كانت الاستعارةُ تصريحيةً أو مكنيةً.

(**) أفاد الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما بعد هذه المسألةَ قائلًا: «كلُّ استعارةٍ تبعيةٍ فإنَّ قرينتَها مكنيةٌ، بمعنى أنَّك إذا =

وَلَئِنْ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحاً فَلِسانُ حالي بالشِّكايَةِ أَنْطَقُ

أي: أَدَلُّ.

ج - وتنقسم الاستعارةُ [باعتبار ذِكْرِ المُلائِم]:

١- **إلى مُرَشَّحَة**: وهي ما ذُكِرَ فيها مُلائِمُ المُشَبَّهِ به، نحو: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة:١٦]، فالاشْتِراءُ مُستعارٌ للاسْتِبْدالِ، وذِكْرُ الرِّبْحِ والتِّجارَةِ ترشيحٌ[(١)].

٢- **وإلى مُجَرَّدَة**: وهي التي ذُكِرَ فيها مُلائِمُ المُشَبَّهِ، نحو: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل:١١٢]، استُعيرَ اللِّباسُ لِمَا غَشِيَ الإنسانَ عند الجوعِ والخوفِ، والإذاقَةُ تجريدٌ لذلك.

٣- **وإلى مُطْلَقَة**: وهي التي لَمْ يُذْكَرْ معها مُلائِمٌ، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾[(٢)] [البقرة:٢٧].

---

(١) المُرَشَّحَة: المُقوّاة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الاستعارةُ انتهتْ إلى هذا الحدِّ، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ هذه جملةٌ تُقوِّي الاستعارةَ التي ذَكَرْنا أنَّها في الشِّراء، التجارةُ تُناسِبُ الشِّراءَ؛ لأنَّ الرَّجُلَ يشتري الشيءَ ليربحَ فيه أو ليستعملَه في بيته مثلًا، فهذا نُسمِّيه ترشيحاً، يعني: إذا ذُكِرَ في الاستعارة ما يُلائِمُ المُشَبَّهَ به سُمِّيَ ذلك ترشيحاً.

(٢) الآن قسَّمَها رَحِمَهُ اللَّهُ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما ذُكِرَ فيه مُلائِمُ المُشَبَّهِ به، وهذا **ترشيح**.

والثاني: ما ذُكِرَ فيها مُلائِمُ المُشَبَّهِ، وهذه **مُجَرَّدَةٌ**. =

= رأيتَ استعارةً تبعيةً فَلَكَ أن تُجْرِيَها في نفس اللفظ، ولك أن تُجْرِيَها في القرينة، لكن إذا أجريتَها مكنيةً فلا تُجْرِها تبعيةً في آنٍ واحدٍ؛ لأنَّ هذا تناقُضٌ، القاعدة: «كلُّ تبعيةٍ فقرينتُها مكنيةٌ»، وإذا أجريتَها في إحداهما امتنع إجراؤُها في الأخرى؛ لئلَّا يلزم أن تكون العبارةُ مستعارةً من وجهين».

ولا يُعْتَبَرُ الترشيحُ والتجريدُ إلَّا بعد تَمامِ الاستعارةِ بالقرينةِ(١).

***

= **والثالث**: ما خَلَتْ عن مُلائِمِ هذا وهذا، فهذه **مُطْلَقَةٌ**، وكذلك ما ذُكِرَ فيها مُلائِمُ هذا وهذا فإنَّها تُسمَّى مُطْلَقَةً.

طبعاً هذه اصطلاحاتٌ، ليس شيئاً مَبْنِيّاً على دليلٍ، هذا مُصْطَلَحٌ من جِنْس المصطَلَح في عِلْم الحديث.

حَسَناً:

- إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً ويكتب بقلم»، الآن «ويكتب بقلم» هل يُناسِب المُشَبَّهَ أو المُشَبَّهَ به؟ المُشَبَّهَ، إذاً مُجَرَّدَةٌ.

- وإذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً يفترس أقرانَه» هذا ترشيح؛ لأنَّه يُلائِمُ المُشَبَّهَ به.

- إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبةً» هذه مُطْلَقَةٌ.

الخُلاصَةُ أنَّه:

١- إذا ذُكِرَ في الاستعارة ما يُلائِمُ المُشَبَّهَ به فهو **ترشيح**، والترشيح يعني: التقوية.

٢- إذا ذُكِرَ ما يُلائِمُ المُشَبَّهَ فهو **تجريد**، يعني: كأنَّك بعد أنِ ادَّعَيْتَ أنَّ هذا المستعارَ له هو المستعارُ جَرَّدْتَهُ بِذِكْرِ ما يُلائِمُ المستعارَ له.

٣- إذا لم يُذْكَرْ هذا ولا هذا فهي **مُطْلَقَةٌ**.

(١) صحيح، هذا ضروريٌّ، لا يُعْتَبَرُ الترشيحُ والتجريدُ إلا بعد أن تتمَّ الاستعارةُ، انظُرْ إلى قولك: «رأيت أسداً يحمل حقيبة»، استَعَرْتَهُ للرَّجُل الشجاع، كلمة «يحمل حقيبة» تُلائِمُ المُشَبَّهَ، لكنَّنا لا نجعلُها هنا مُجرَّدةً؛ لأنَّ هذه هي القرينةُ المانِعَةُ، إذاً التجريدُ والترشيحُ لا يُعْتَبَرُ إلا بعد تمام الاستعارة بقرينتها.

المَجاز المُرْسَل

المَجاز المُرْسَل

هو مَجازٌ عَلاقَتُهُ غيرُ المُشابَهَةِ(١):

١- كالسَّبَبِيَّةِ، في قولك: «عَظُمَتْ يَدُ فلانٍ عندي»، أي: نِعْمَتُهُ التي سَبَبُها اليَدُ(٢).

٢- والمُسَبَّبِيَّةِ، في قولك: «أَمطَرَتِ السماءُ نباتاً»، أي: مَطَراً يَتَسَبَّبُ عنه النباتُ(٣).

٣- والجُزْئِيَّةِ، في قولك: «أَرْسَلْتُ العُيونَ لِتَطَّلِعَ على أحوالِ العَدُوِّ»، أي: الجواسيسَ(٤).

---

(١) المجازُ المُرْسَلُ ضابطُهُ: ما تُجُوِّزَ به عن غيرِه بعلاقةٍ غيرِ الشَّبَهِ، وإذا كانت العلاقةُ الشَّبَهَ فهو استعارةٌ، يعني: كلُّ شيءٍ يُعَبَّرُ به عن غيرِه إن كانتِ العلاقةُ بينهما المُشابَهَةَ فهي استعارةٌ، وإن كانت غيرَ المُشابَهَةِ فهي مجازٌ مُرْسَلٌ.
ذَكَرَ المؤلِّفُ ثمانيةَ أشياء.

(٢) هنا عَبَّرَ بالسبب عن المُسبَّب، السبب: اليد، هي التي تُعطي، والمُسبَّب: النِّعمة، فَعَبَّرَ باليد عن النِّعمة مجازاً؛ لأنَّ اليدَ سببٌ، وقال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] هنا عَبَّرَ بالرزق عن المطر؛ لأنَّ الرزقَ مُسبَّبٌ للمطر، المطر هو السبب.

(٣) معلومٌ أنَّ السماءَ لا تُمطِرُ نباتاً، تُمْطِرُ مَطَراً يكون به النباتُ، فهنا عَبَّرَ بالنبات الذي هو المُسبَّب عن السبب الذي هو المطر.
هذان شيئان مُتَضادان، يُعَبَّرُ بالسبب عن المُسبَّب، وبالمُسبَّب عن السبب، وكلاهما مجاز.

(٤) من المعلوم أنَّ العينَ نَفْسَها لا تُرْسَلُ، الذي يُرْسَلُ الشخصُ لِيَطَّلِعَ، لكن لمَّا كان الجاسوسُ يُدْرِكُ الأشياءَ بِبَصَرِهِ، ويَتأمَّلُ الملامحَ، وينظر إلى الأشياء؛ عُبِّرَ بالعين =

٤- **والكُلِّيَّةِ**، في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، أي: أَنامِلَهُمْ(١).

٥- **واعتبارِ ما كان**، في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النِّساء: ٢]، أي: البالِغِينَ(٢).

= عنه، أي: عن الجاسوس.

لو أنَّ إنساناً قال: «أرسلتُ آذاني في البلد»، [فهل] يصلح أن يُعَبَّرَ بها عن الجاسوس؟ لا، لا يصلح، ولا عَبَّرَ بها العربُ؛ لأنَّ الآذانَ يمكن أن تكون جاسوساً في حالة معيَّنة، إذا قيل لك عن بيتٍ: «إنَّ فيه اشتباهاً» وأرسلتَ إليه شخصاً في الليل؛ فهنا يمكن أن تقول: «أرسلتُ آذاني إلى بيته ليلاً»، هنا لا بُدَّ من قرينةٍ.

(١) عَبَّرَ بالكلِّ عن الجُزْءِ.
حَسَناً:
- «أَعتِقْ رقبةً» عَكْسُها، عَبَّرَ بالجُزء عن الكلِّ.
- قوله تعالى ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، بالجُزء عن الكلِّ؛ لأنَّ المُرادَ الصلاةُ، والركوعُ جُزْءٌ منها.
- «**قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفَيْن**»(*)، تعبيرٌ بالكلِّ عن الجُزء، وهذا أمثلتُهُ كثيرةٌ.

(٢) اليتيم: مَن مات أبوه قبل البلوغ، ومَن لم يَبْلُغْ لا يُعطَى مالَه كما قال اللّهُ تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، فهنا يقول عزَّ وجلَّ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ المراد: البالِغون، وإذا كانوا بالِغين لم يكونوا يتامى؛ إذ أنَّ اليتيمَ مَن لم يَبْلُغْ.

فإذا قال قائلٌ: ما الحكمة من أنَّه سبحانه وتعالى يُعَبِّرُ باليتيم عن البالغ؟

الحكمة: من أجل استعطافِ الأولياء واسترحامِهم حتى يُؤَدُّوا الأموالَ إلى أهلها، فكأنَّه قال: «اذْكُرُوا يُتْمَهُمْ وأَعْطُوهُمْ أموالَهم».

(*) روى مسلم في صحيحه (٤/ رقم: ٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: «قال اللّهُ تعالى: قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، . . .»، والمراد بالصلاة هنا: الفاتحة.

٦ - واعتبارِ ما يكون، في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عِنباً[١].

٧- والمَحَلِّيَّةِ، في قولك: «قَرَّرَ المجلِسُ ذلك»، أي: أَهْلُهُ[٢].

٨- والحالِّـيَّـةِ[*]، في قولـه تعالـى: ﴿فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، أي: جَنَّتِهِ[٣].

* * *

(١) الخمر لا يُعصَر، الخمر معصور، لكنِ المرادُ به العِنَبُ الذي يكون منه الخمر، فعَبَّرَ عن شيءٍ باعتبار ما يكون، وهذا أيضاً كثير، ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] عَبَّرَ بالماضي عن المستقبَل، وله أمثلة في القرآن وغير القرآن.

(٢) تقول: «قَرَّرَ مجلِسُ الوزراءِ كذا وكذا»، وهل الذي قَرَّرَ الكَنَبات والمَخادُّ والمَساندُ؟ لا، الذي قَرَّرَ أهلُ المجلِسِ، لكن لَمَّا كان القرارُ إجماعِيّاً صار كأنَّ المَحَلَّ نَفْسَهُ بمَن فيه قَرَّرَهُ.

(٣) المُراد: «ففي جَنَّةِ اللَّهِ»، لكن عَبَّرَ عن الجَنَّةِ بالرحمة؛ لأنها مِن آثار رحمته، فالجَنَّةُ هي رحمةُ اللهِ كما جاء في الحديث: قال اللَّهُ لها: «أنتِ رحمتي أَرْحَمُ بكِ مَن أشاء»[**]؛ لأنَّ الجَنَّةَ مَحَلُّ الرحمةِ، جَعَلَني اللَّهُ وإيَّاكم من أهلها بمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

(*) بتشديد اللام، مِن الحُلول.

(**) رواه البخاري (٦٥/ تفسير سورة ق/١)، ومسلم (٥١/ رقم: ٣٤، ٣٥).

المَجاز المُرَكَّب

المَجاز المُرَكَّب

المُرَكَّبُ إنِ استُعْمِلَ في غيرِ ما وُضِعَ له لِعَلاقَةٍ غيرِ المُشابَهَةِ سُمِّيَ **مَجازاً مُرَكَّباً**، كالجُمَلِ الخَبَرِيَّةِ إذا استُعْمِلَتْ في الإنشاءِ، نحو قوله [الطويل]:

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ اليَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيبٌ، وجُثْماني بِمَكَّةَ مُوثَقُ

فليس الغَرَضُ مِن هذا البيتِ الإخبارَ، بل إظهارَ التحَزُّنِ والتحَسُّرِ.

وإن كانت علاقتُهُ المشابَهَةَ سُمِّيَ **استعارةً تمثيليَّةً**، كما يُقال للمُتَرَدِّدِ في أَمْرٍ: «أراكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا، وتُؤَخِّرُ أُخْرَى»(١).

* * *

(١) الجُمَلُ الخبريَّةُ إذا استُعْمِلَتْ في الإنشاء فهي تُسمَّى مجازاً مُرَكَّباً إذا لم تكن علاقتُها المشابَهَةَ، ولها أمثلة كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنَّ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ جملةٌ خبريَّةٌ، والمرادُ: الإنشاءُ، يعني الأمر بذلك، ومثلُ هذا البيتُ الذي ذكره المؤلِّفُ.

إذا جاءت جملةٌ مجازيةٌ علاقتُها المشابَهَةُ فهي استعارةٌ تمثيليَّةٌ، مثال ذلك: تقول مثلًا في الأمر تتردد فيه: «فكنتُ أُقَدِّمُ رِجلًا، وأُؤَخِّرُ أُخرى»، معلومٌ أنَّه ليس المرادُ في الحقيقةِ تقديمَ الرِّجْلِ، رُبَّما يتردَّد الإنسانُ وهو على كُرْسِيِّهِ، لكن شَبَّهَ حالَهُ في التردُّد بحال مَنْ يُقَدِّمُ رِجْلًا ويُؤَخِّرُ أُخرى، المُقَدِّمُ للرِّجْلِ والمُؤَخِّرُ لأُخرى يبقى في مكانِهِ حائِراً، فيقال في هذا: إنَّها استعارةٌ تمثيليةٌ.

وذَكَرَ المؤلِّفُ هذا من باب تكملة التقسيم، وإلَّا لا حاجةَ إليه؛ لأنَّه سَبَقَ القواعدُ العامَّةُ، يُكْتَفَى بها.

الـمَجاز العَقْلِيّ

المَجاز العَقْلِيّ

هو إسنادُ الفِعْلِ أو ما في معناه إلى غيرِ ما هو له عند المُتَكَلِّمِ في الظاهِرِ لِعَلاقَةٍ[(١)(*)]، نحو قوله [المُتَقارِب]:

أشابَ الصَّغيرَ وأَفْنَى الكَبيـ ـرَ كَرُّ الغَداةِ ومَرُّ العَشِيْ

فإنَّ إسنادَ الإشابَةِ والإفناءِ إلى كَرِّ الغَداةِ ومُرورِ العَشِيِّ إسنادٌ إلى غيرِ ما هو له، إذِ المُشيبُ والمُفْني- في الحقيقة- هو اللَّهُ تعالى[(٢)].

ومِن المَجازِ العَقْلِيّ:

١- **إسنادُ ما بُنِيَ للفاعِلِ إلى المفعولِ**، نحو: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[(٣)] [الحاقَّة: ٢١].

(١) «هو إسنادُ الفِعْلِ أو ما في معناه» يعني: اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر المراد به اسم الفاعل واسم المفعول.
قوله: «في الظاهر» متعلِّق بقوله: «إلى غير ما هو له»، يعني: أنَّه في الظاهر لغير ما هو له عند المُتكلِّم.

(٢) هل الذي أفنى الإنسانَ هو هذا؟ الجواب: لا، الذي أفناه اللَّهُ، فأضافَ الفعلَ إلى غير مَن هو له، وكذلك يقال في المثل العامِّيّ: «**أهْلَكَهُ السَّبتُ والأحدُ**»، يعني: مرور السبت والأحد، وهل هذا هو الذي أَهْلَكَهُ؟ لا، الذي أَهْلَكَهُ اللَّهُ، لكن أَسْنَدَ الفعلَ إلى غير مَن هو له على سبيل المجازِ، ويقال: «بَنَى عَمْرُو بنُ العاصِ مدينةَ الفُسْطاطِ»، معلومٌ أنَّ عَمْرَو بنَ العاص رضي الله عنه لم يُباشِرِ البناءَ، لم يأتِ باللَّبِنِ ولم يُجَبِّنِ الطِّينَ، ولكن أَمَرَ بذلك، هذا يُسمَّى مجازاً عقلياً.

(٣) ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ يعني: مَرْضِيَّة، فأتى باسم الفاعل ويُراد به اسم المفعول، فقد أَسْنَدَ الرِّضا إلى =

(*) بشرط وجود قرينةٍ تمنع من إرادة الإسناد الحقيقي.

٢- وعَكْسُهُ(*)، نحو: «سَيْلٌ مُفْعَمٌ»(١).

٣- والإسنادُ:

أ- إلى المَصْدَرِ، نحو: «جَدَّ جَدُّهُ».

ب- وإلى الزَّمانِ، نحو: «نهارُهُ صائِمٌ».

جـ - وإلى المكانِ، نحو: «نَهْرٌ جارٍ».

د- وإلى السَّبَبِ، نحو: «بَنَى الأميرُ المدينةَ» (٢).

ويُعْلَمُ مِمَّا سَبَقَ أنَّ المَجازَ اللُّغَوِيَّ يكون في اللَّفظِ، والمَجازَ

= العِيشَةِ، والعِيشةُ لا تَرْضَى، وإنَّما العِيشةُ تُرْضَى، فأَسْنَدَ ما في معنى الفعل إلى غير ما هو له على وجه المجازِ العقليِّ.

(١) «مُفْعَم» يعني: «فاعِم أو مُفعِم» مع أنَّه مبنيٌّ للمجهول، هناك أفعال تُبْنَى للمجهول - أو إن شِئْتَ قل: لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ - دائماً، مثل: «نُتِجَتِ البهيمةُ» بمعنى: «أَنْتَجَتْ»، ولا يجوز أن تقول: «أَنْتَجَتْ» أو «نَتَجَتْ».

وقد أُلِّفَ في ذلك الرسائل الصغيرة عليها شرح وأمثلة، كـ «إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل»(**)، يعني في اللُّغة العربية ألفاظ لا يمكن أن تُبْنَى إلا للمفعول، لا تُبْنَى للفاعل.

(٢) **إذا قال قائِلٌ**: ما الفَرْقُ بين المجازِ العقليِّ والمجازِ اللُّغويِّ؟

فالجواب: المجازُ اللُّغويُّ يكون في الألفاظ، والمجازُ العقليُّ يكون في الإسناد، بمعنى أنَّ الكلماتِ يُراد بها معناها الحقيقي، لكن إسناد هذه الكلمة إلى هذه الكلمة هو المجاز.

فمثلًا: «بَنَى الأميرُ المدينةَ»، ما المراد بالبناء؟ الحقيقةُ، والأميرِ؟ الحقيقةُ، لكن إسناد البناء للأمير هذا هو المجاز.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] الآن المجاز هل هو في إنزال هذا =

(*) أي: إسنادُ ما بُنِيَ للمفعول إلى الفاعل.

(**) للشيخ محمد علي بن علان الصِّدِّيقي الشافعي (ت: ١٠٥٨هـ).

العَقْلِيَّ يكون في الإسنادِ(١).

* * *

= الماء أو في كلمة «رزق»؟ في كلمة «رزق».

فلهذا نقول: الفرق بين المجاز اللُّغويّ (بأنواعه: الاستعارة والمجاز المرسَل) والمجازِ العقليّ أنَّ:

- المجاز العقليّ يكون في الإسناد، بمعنى أنَّ الكلماتِ يُراد بها المعنى الحقيقي، لكن إسناد هذه إلى هذه من هنا يأتي المجاز.

- المجاز اللُّغويّ يكون في الألفاظ، إن كانت العلاقةُ المشابَهَةَ فهي استعارةٌ، وإن كانت العلاقةُ غيرَ المشابَهَةِ فهو مجازٌ مُرْسَلٌ.

(١) والفرق بينهما كما ذكرتُ لكم:

- المجازُ اللُّغويُّ في الكلمات نفسِها، بمعنى أنَّه يُراد بالكلمات خلافُ المعنى الأصليّ.

- والمجازُ العقليُّ في الإسناد، بمعنى أنَّ كلَّ كلمةٍ يُراد بها المعنى الأصليُّ، لكن إسنادها إلى الكلمة الأُخرى عقليٌّ يَمْنَعُهُ العقلُ.

حَسَناً، قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنَّه حقيقةٌ ليس فيه مجازٌ لا عقليٌّ ولُغويٌّ، وعلى رأي أهل التحريف فيه مجازٌ عقليٌّ؛ لأنَّ المَجِيءَ عقلًا - عندهم - لا يُسنَد إلى الرَّبِّ مُمْتَنِعٌ عقلًا، وهذا هو السِّرُّ في أنَّ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميَّةَ وابنَ القيِّم رحمهما اللّهُ وأمثالَها شدَّدا في إنكار المجاز؛ لأنَّه صار سُلَّماً إلى تحريف نصوص الكتاب والسُّنَّة بناءً على إثبات المجاز.

الحمد لله، الآن فَهِمْنا المجازَ بنوعَيْهِ: ما علاقته المشابَهَة وهو الاستعارة، وما علاقته غير المشابَهَة وهو المجاز المرسَل، وكلٌّ منهما يكون مجازاً في اللفظ، فإن كانت الألفاظُ يُراد بها الحقيقةُ لكن إسناد هذا إلى هذا لا يمتنع عقلًا فهو مجازٌ عقليٌّ.

واعْلَمْ أنَّ قولنا: «يمتنع عقلًا» ليس معناه كما يريده المَناطِقَةُ، لا، حتى لو كان عادةً فهو مجازٌ عقليٌّ، مثلًا: «بَنَى الأميرُ المدينةَ» هل يمتنع عقلًا أن يبنيَها؟ عقلًا لا يمتنع، يمكن أن يُشارِكَ في البناء، لكن عادةً يمتنع.

الكِنايَة

الكِنايَة

هي لَفظٌ أُرِيدَ به لازِمُ معناه مع جَوازِ إرادَةِ ذلك المعنى، نحو: «طويلُ النِّجادِ»، أي: طويلُ القامَةِ[١].

وتنقسم باعتبارِ المَكْنِيِّ عنه إلى ثلاثةِ أقسامٍ:

الأول: كِنايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها صِفَةً، كقول الخَنْساء [المُتَقارِب]:

طَويلُ النِّجادِ، رَفيعُ العِمادِ كَثيرُ الرَّمادِ إذاما شَتا

تريد أنَّه طويلُ القامَةِ، سَيِّدٌ كريمٌ[٢].

(١) الكِنايَة: عبارة عن جملة أو كلمة تدلُّ على معنى ملازِم لها، مع جواز إرادة ذلك المعنى، مثاله: «طويلُ النِّجادِ» يعني: طويلُ القامَةِ؛ لأنَّه يَلزَمُ مِن طول القامَة أن يَطُولَ نِجادُهُ، «رفيعُ العِمادِ» يعني: خَيْمَتُهُ رفيعٌ عمودُها، هذا كِنايَة عن أنَّه سيِّدُ قومِه، ولهذا بَنَى له خيمةً رفيعةً حتى يُعرَفَ بها ويَقْصِدَهُ الناسُ، مع أنَّه يمكن إرادةُ المعنى الأصليِّ، وبهذا القَيْدِ صار الفَرْقُ بينها وبين المَجاز(*)، المَجازُ لا يمكن أن يُرادَ به المعنى الأصليُّ، أمَّا الكِنايَةُ فيمكن أن يُرادَ بها ذلك.

إذاً تتميَّز الكِنايَةُ عن المجاز بأنَّ الكِنايَةَ يجوز أن يُرادَ بها المعنى الأصليُّ، بخلاف المجاز.

(٢) **«طويلُ النِّجادِ»** قلنا: إنَّ هذا يُراد به طولُ القامَةِ، مع جواز أن يُرادَ به الحقيقةُ: أنَّ نِجادَهُ الذي يتحلَّى به طويلٌ.

«رفيعُ العِمادِ» كِنايَةٌ عن أنَّه سَيِّدُ قومِه، ولهذا رَفَعَ عِمادَ خَيْمَتِهِ؛ لِيُعْرَفَ بذلك فيُقْصَدَ، مع أنَّه يجوز أن يكون المتكلِّمُ أراد الحقيقةَ: أنَّه - حقيقةً - خيمتُهُ رفيعةٌ.

«كثير الرَّمادِ» يُراد به الكَرَمُ؛ لأنَّ الكريمَ يَكْثُرُهُ القُصَّادُ، والقُصَّادُ يحتاجون إلى طعام =

(*) الكِنايَةُ نوعٌ مِن المَجازِ، والمقارَنةُ بينهما - هنا - مِن حيث إرادةُ المعنى الأصليِّ فقط.

والثاني: كِنايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها **نِسْبَةً**، نحو: «المَجْدُ بين ثَوْبَيْهِ، والكَرَمُ تَحت رِدائِهِ»، تريد نِسْبَةَ المَجْدِ والكَرَمِ إليه(١).

والثالث: كِنايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها **غيرَ صِفَةٍ ولا نِسْبَةٍ**(*)، كقوله [الكامل]:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مُخْذِمٍ   والطَّاعِنِينَ مَجامِعَ الأَضْغانِ

= كثير، والطعام الكثير يحتاج إلى طبخ، والطبخ يحتاج إلى حطب، والحطب يكون رماداً، فإذا قيل: «فلانٌ كثيرُ الرَّمادِ» فهو كِنايَةٌ عن كَرَمِهِ؛ لأنَّه يدلُّ على كثرة الضِّيفانِ، وكثرةِ الطعام، وكثرةِ الإيقاد، فهذا كِنايَةٌ عن الكَرَم، مع أنَّه يجوز أن يكون المرادُ حقيقةً كثرةَ الرَّمادِ؛ لأنَّ في ذلك الوقتِ ليس عندهم غاز، فإذا أَرَدْنا أن نُحَوِّلَ «كثير الرَّماد» إلى الغاز فماذا نقول؟: كثيرُ أنابيبِ الغازِ، أو صَرْفِ الغاز. . . ، على كل حالٍ عَبِّرْ بما شِئْتَ، المهم عَبِّرْ تعبيراً يكون دليلًا على كَرَمِهِ.

مع أنَّ كثرةَ الرَّمادِ رُبَّما يكون [في صناعةِ] الجِصِّ، هذا لا بُدَّ أن يُوقَد عليه؛ لأنَّه يُؤخَذ من الأرض ثم يُوقَد عليه حتى يكون صالحاً للاستعمال، وأصحابُ المَجَاصِّ كثيرو الرَّمادِ، فهل إذا قلنا: «فلانٌ كثيرُ الرَّمادِ» مِن أصحاب المجاصِّ؛ هل نقول: إنَّ هذا يدلُّ على كرمه؟ لا، لكن على كلِّ حالِ السِّياقُ يُعَيِّنُ.

(١) معلومٌ أنَّ «المجد بين ثَوْبَيْهِ» ليس هو المعنى الذي - يُسَمَّى المجدَ - يكون بين الثوبَيْنِ، لكنْ هذا الرَّجُلُ موصوفٌ بأنَّه ذو مَجْدٍ، و[هل] جِسْمُهُ بين ثوبَيْهِ أو لا؟ نَعَمْ، جِسْمُهُ بين ثوبَيْهِ، نقول: هذا كِنايَةٌ عن قوَّته وشجاعته، وكذلك «الكرم تحت ردائه» كِنايَةٌ عن كرمه، تُسمَّى هذه الكِنايَةُ نِسْبَةً، وهي- كما قال المؤلِّفُ- تختلف عن المجاز بأنَّه قد يُراد بها المعنى الحقيقيُّ.

لكن لو قال قائِلٌ: هل يمكن أن يكون المَجْدُ الحقيقيُّ الذي هو المعنى بين جَنْبَيْهِ؟

نقول: ما دام المَجْدُ وَصْفاً لموصوفٍ والموصوفُ: «بين جَنْبَيْهِ»؛ صَحَّ أن يقال: إنَّ المَجْدَ نَفْسَهُ بين جَنْبَيْهِ؛ لأنَّ الصفةَ معنىً في الموصوف.

(*) يكون المكنيُّ عنه فيها موصوفاً.

فإنَّه كَنَى بمَجامِعِ الأَضْغانِ عن القلوبِ[١].

والكِنايَةُ[*]:

- إن كَثُرَتْ فيها الوسائِطُ سُمِّيَتْ **تَلويحاً**، نحو: «هو كثيرُ الرَّمادِ» أي: كريمٌ؛ فإنَّ كَثْرَةَ الرَّمادِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الإحراقِ، وكَثْرَةَ الإحراقِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الطَّبْخِ والخُبْزِ، وكَثْرَتَهما تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الآكِلينَ، وهي تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الضِّيفانِ، وكَثْرَةَ الضِّيفانِ تَسْتَلْزِمُ الكَرَمَ[٢].

- وإنْ قَلَّتْ وخَفِيَتْ سُمِّيَتْ **رَمْزاً**، نحو: «هو سَمينٌ رِخْوٌ» أي: غَبِيٌّ بَليدٌ[٣].

---

(١) مَجامِعُ الأضغانِ، مَجامِعُ الحُبِّ، مَجامِعُ البغضاءِ: هي القلوب، هي مَحَلُّ هذا، فهنا يمدحه يقول: «الضَّاربين بكلِّ أَبيَضَ مُخْذِمِ» يعني: السيوف، «والطَّاعنين مجامِعَ الأضغانِ» يعني: الرِّماح يطعنون بها مَجامِعَ الأضغانِ، ومَجَامِعُ الأضغانِ هي القلوب؛ لأنَّ الضِّغْنَ والحِقْدَ والكراهةَ والمحبَّةَ كلُّها مَحَلُّها القلبُ.

(٢) إذا كَثُرَتِ اللَّوازِمُ فهي تلميحٌ[**]، ضِدُّها: التصريحُ، لو قلت: «فلانٌ كريمٌ» كفى عن هذا كلِّه، لكنَّ الكِنايَةَ تُعتبَر من بابِ تجميلِ اللَّفظِ وتَشَوُّفِ النَّفْسِ لها، فإنَّك تَجِدُ الفَرْقَ بين قولك: «فلانٌ كثيرُ الرَّمادِ» و«فلانٌ كريمٌ»، أيُّهما أشدُّ في تهييج النَّفْسِ؟ الأول بلا شك.

(٣) فإذا قيل: «فلانٌ سَمينٌ رِخْوٌ» هذا يَخْفَى أن يُرادَ به أنَّه غَبِيٌّ بَليدٌ، خَفِيٌّ جدّاً، ولكنَّ القرينةَ وسياقَ الكلام يدل على هذا.

حَسَناً، «فلانٌ طويلُ الرَّقَبَةِ»: كِنايَةٌ عن الغَباوَةِ والبَلادَةِ، ولهذا قال بعضُ البلاغِيِّينَ في قول النَّبيِّ ﷺ لِعَدِيِّ بن حاتِم رضي الله عنه حين أراد أن يصوم عَدِيٌّ، وقرأ قولَ اللَّهِ تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، جَعَلَ عِقالَيْنِ- والعِقال: هو الحبل الذي تُشَدُّ به يَدُ الناقةِ-، واحد أسود وواحد أبيض، وجَعَلَ يأكل حتى بان الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ، وهذا لا يكون إلا بعد ارتفاع =

(*) هذا التقسيمُ باعتبارِ الوسائطِ (أي: اللوازم) والسياقِ.

(**) التلويح والتلميح - هنا - بمعنى واحد.

- وإنْ قَلَّتْ فيها الوَسائِطُ أو لم تُكنْ ووَضَحَتْ؛ سُمِّيَتْ **إيماءً وإشارَةً**، نحو [الكامل]:

أَوَما رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ   في آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

كِنايَةً عن كَوْنِهم أمجاداً(١).

وهناكَ نَوْعٌ مِن الكِنايَةِ يُعْتَمَدُ في فَهْمِهِ على السِّياقِ، يُسَمَّى **تَعْريضاً**: وهو إمالَةُ الكلامِ إلى عُرْضٍ، أي: ناحيةٍ، كقولك لشخصٍ يَضُرُّ الناسَ: «خيرُ الناسِ مَن يَنْفَعُهُمْ»(٢).

* * *

= النهار، يعني بعد ارتفاع الإسفار، ثم أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فقال له: «**إنَّ وِسادَكَ لَعريضٌ**»(*)، عُرْضُ الوسادةِ يدلُّ على طول الرقبة، قالوا [أي: البلاغيُّون]: «فالرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يُبَيِّنَ له أنَّه بَليدٌ؛ لأنَّه إذا طالَتِ الرَّقَبةُ بَعُدَ الرَّأسُ عن القلب، فتَطُول المسافةُ فيكون بَليداً».

لكنْ أجْزِمُ جَزْماً أنَّ الرسول ﷺ لم يُرِدْهُ، ولهذا قال: «**إنَّ وِسادَكَ لَعريضٌ**»: أن يُوَسِّعَ الخيطَ الأبيضَ والأسودَ، يعني: عُرْضَ الأُفُقِ، إذا كان هذا الذي فَهِمَهُ، أمَّا أنَّ الرسولَ ﷺ يريد أن يُعَرِّضَ ببَلادَةِ الرَّجُلِ فهذا مستحيلٌ، لكن هكذا البلاغيُّون كلُّ واحدٍ يُؤَوِّلُ النصوصَ لِمَا يريد، ولا يَخافَنَّ أحدٌ منكم إن كان طويلَ الرَّقبةِ، إن شاء اللَّهُ تعالى كلٌّ على ذكاءٍ وفِطْنَةٍ.

(١) هذا البيتُ كِنايةُ نِسْبَةٍ، مثل: «المَجْدُ بين ثَوْبَيْهِ».

(٢) هذا التعريضُ لا يُصَرِّحُ، لكن يدلُّ على هذا المعنى، ومنه قوله تعالى عن قوم مريم حين جاءت تحمل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ قالوا لها: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، يريدون أن يقولوا: «إنَّها بَغِيٌّ، ولكن مِن أين جاءها البِغاءُ!؟، أبوها ليس امرَأَ سَوْءٍ، وأُمُّها ليستْ بَغِيّاً!!»، هذا التعريضُ يقول بعضُ العلماءِ: «إنَّه =

(*) رواه البخاري (٦٥/ تفسير سورة البقرة/ ٢٨)، ومسلم (١٣/رقم: ٣٣).

= أشدُّ وَقْعاً من التصريح»، وجعلوا منه قولَه تعالى عن ابنَيْ آدم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، يُعَرِّضُ بأنَّ أخاه قابيلَ ليس مُتَّقِياً.

واختَلَفَ العلماءُ في مسألةٍ وهي: هل يُحَدُّ الإنسانُ حَدَّ القذفِ إذا عَرَّضَ؟، بأن تخاصَمَ مع شخصٍ وقال: «الحمد لله، أنا لستُ أتتبع البَغايا»، يقول عن نفسه لخَصْمِهِ: «الحمد لله، أنا لا أتتبع البَغايا»، فهل يُحَدُّ هذا القائلُ حَدَّ القذفِ؛ لأنَّ قولَه هذا يَعَرِّضُ بأنَّ صاحبَه يتتبع البَغايا؟، فمِن العلماء مَن قال: «لا يُحَدُّ؛ لأنَّه لم يُصَرِّحْ»، ومنهم مَن قال: «بل يُحَدُّ؛ لأنَّ التعريضَ أحياناً يكون أشدَّ من التصريح».

حَسَناً، وهذا أيضاً يُخاطِب شخصاً قد آذَى الناسَ وَضَرَّهم، فيقول له: «خيرُ الناسِ مَن ينفعهم»، عندما تسمع هذا الكلامَ تقول: «هذا الكلام ليس فيه شيء»، لكنْ هو يُعَرِّضُ بأنَّ صاحبَهُ لا ينفع الناسَ.

انتهى - الحمد لله- عِلْمُ المعاني والبيان، بَقِيَ عِلْمُ البديع.

عِلْمُ البَدِيعِ

عِلْمُ البَديع

البَديعُ: عِلْمٌ يُعْرَفُ به وُجوهُ تَحْسينِ الكلامِ المُطابِقِ لِمُقْتَضَى الحالِ[١].

وهذه الوُجوهُ:

- ما يَرْجِعُ منها إلى تَحْسينِ **المعنى** يُسَمَّى **بالمُحَسِّناتِ المَعْنَوِيَّةِ**.
- وما يَرْجِعُ منها إلى تَحْسينِ **اللَّفظِ** يُسَمَّى **بالمُحَسِّناتِ اللَّفْظِيَّةِ**.

* * *

(١) ولذلك سُمِّيَ بَديعاً؛ لأنَّ أصلَ الإبداعِ: الإحسانُ، إحسانُ الشيءِ إبداعٌ له، فسُمِّيَ البديعَ، «فَعيل» بمعنى «مفعول» يعني: مُبْدَع، فهو مُحَسَّنٌ، فعِلْمُ البديعِ هو تحسينٌ للألفاظِ.

بعد أن عَرَفْنا عِلْمَ المعاني وعِلْمَ البيانِ وهو يتعلَّق بالمعاني والألفاظ؛ نعود الآن إلى عِلْمِ البديعِ، وهو أن نُبْدِعَ في التعبير، ولذلك «عِلْمٌ يُعْرَفُ به وُجوهُ تَحْسينِ الكلامِ المطابِقِ لمُقتَضَى الحالِ»، ومعلومٌ أنَّ الكلامَ لا يكون بَليغاً إلَّا إذا كان مُطابِقاً لمُقْتَضَى الحالِ.

مُحَسِّناتٌ مَعْنَوِيَّةٌ

مُحَسِّناتٌ مَعْنَوِيَّةٌ(*)

١- **التَّوْرِيَة**: أن يُذْكَرَ لَفْظٌ له مَعْنَيانِ: قريبٌ يَتَبادَرُ فَهْمُهُ مِن الكلام، وبعيدٌ هو المُرادُ بالإفادَةِ لِقَرينَةٍ خَفِيَّةٍ، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، أراد بقولِهِ ﴿جَرَحْتُم﴾ معناهُ البعيدَ: وهو ارْتِكابُ الذُّنوبِ.

وكقولِهِ [المُجْتَثّ]:

يا سَيِّداً حازَ لُطْفاً لَهُ البَرايَا عَبِيدُ
أَنْتَ الحُسَيْنُ، ولكِنْ جَفاكَ فِينَا يَزِيدُ

معنى «يزيد» القريبُ أنَّه: عَلَمٌ.

ومعناه البعيدُ المقصودُ أنَّه: فِعْلٌ مُضارِعٌ مِن «زادَ»(١).

(١) الآية الكريمة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ قد يُنازَعُ في كلام المؤلِّف أنَّ فيها توريةً؛ لأنَّ الجَرْحَ بمعنى الكَسْبِ لُغةٌ عربيةٌ، وليس فيها توريةٌ، كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، يعني: الكَواسِب.
أمَّا ما ذَكَرَهُ من البيت فنَعَمْ، «أنتَ الحُسَيْنُ»: ابنُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهما، «ولكنْ جَفاكَ فينا يُزيدُ» هذه لها معنيان:
١- يحتمل أنَّ المُرادَ بذلك يَزيدُ بنُ معاوية، والحروب بينه وبين الحسين معروفة.
٢- ويحتمل أنَّ المرادَ أنَّه فِعْلٌ مضارِعٌ مِن «زادَ».
إذاً القريب أنَّه عَلَمٌ؛ لأنَّه مَن عَرَفَ ما وَقَعَ بين الحُسَيْنِ ويَزيدَ من الحروب؛ يقول: نَعَمْ، الذي جَفا حُسيناً هو يزيدُ، لكنَّ الشاعرَ أرادَ الفعلَ المضارِعَ، أي: أنَّ جفاكَ يَزيدُ فينا.

(*) لَمَّا كانتِ المُحَسِّناتُ اللفظيةُ والمعنويةُ كثيرةً ومُتنوِّعةً؛ اكتفى المؤلِّفون بذِكْرِ أشهرِها، فَمَجِيءُ تبويبِهم لها على صورةِ التنكيرِ فيه إشارةٌ منهم إلى معنى التبعيض.

٢- **الطِّباق**[*]: هو الجَمْعُ بين مَعْنَيَيْنِ مُتقابِلَيْنِ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾[1] [الكهف: ١٨]، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2] [الروم: ٦-٧].

٣- **ومِنَ الطِّباقِ المُقابَلَةُ**: وهي أن يُؤتَى بمعنَيَيْنِ أو أكثرَ، ثم يُؤتَى بما يُقابِلُ ذلك على الترتيبِ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾[3] [التوبة: ٨٢].

٤- **مُراعاةُ النَّظيرِ**: هي جَمْعُ أَمْرٍ وما يُناسِبُهُ لا بالتَّضادِ، كقولِهِ [الكامل]:

والطَّلُّ في سِلْكِ الغصونِ كَلُؤْلُؤٍ   رَطْبٍ يُصافِحُهُ النَّسيمُ فيَسْقُطُ

---

(١) يعني مثلًا مِن الجائز أن تكون العبارةُ: «وتَحْسَبُهم أَيْقاظاً ولَيْسُوا أَيْقاظاً»، أليس كذلك؟، لكنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾؛ لأنَّ ذِكْرَ الشيءِ ومُقابِلِهِ يُعطي الكلامَ حُسْناً.

(٢) الشاهد في قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ﴾، وأفادنا المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بذِكرِ المثالَيْنِ أنَّ هناك تقابُلًا بين المعنَيَيْنِ، سواءٌ كان بمدلول اللَّفظِ، أو بالإثبات والنفي.

- مدلول اللفظ: ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ كلُّه إيجابيٌّ لكنْ مُتَقابِلٌ في المعنى.

- ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ﴾ هذا تقابُلٌ في النفي والإثبات.

(٣) هذه أبلغ؛ لأنَّ هذا يُؤتَى بمعنيَيْنِ فأكثرَ، والأولَ- الطِّباقَ المَحْضَ- أن يُؤتَى بمعنيَيْنِ فقط، هنا البكاء ضد الضحك، ﴿كَثِيرًا﴾ ضد ﴿قَلِيلًا﴾.

حَسَناً، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]؛ طِباقٌ أم مقابَلة؟ مقابَلةٌ؛ لأنَّ المعاني متعدِّدةٌ، أُوتِيَ بها ثم ذُكِرَ ما يُقابِلُها.

(*) **الطِّباق نوعان:**

١- **طِباق الإيجاب**: وهو ما اتفق فيه الضِّدّانِ إيجاباً وسلباً.

٢- **طِباق السلب**: وهو ما اختلف فيه الضِّدّانِ إيجاباً وسلباً.

والطَّيْرُ يَقْرَأُ، والغَديرُ صَحيفةٌ والرِّيحُ تَكْتُبُ، والغَمامُ يُنَقِّطُ[١]

٥- الاستِخْدام: هو ذِكْرُ اللَّفْظِ بمعنىً وإعادَةُ ضميرٍ عليه بمعنىً آخَرَ، أو إعادَةُ ضميرَيْنِ تُريدُ بثانيهما غيرَ ما أَرَدْتَهُ بأوَّلِهما.

فالأوَّلُ: نَحوُ قولِهِ تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أرادَ بالشَّهرِ الهِلالَ، وبضميرِهِ الزَّمانَ المَعلومَ[٢].

والثاني: كقولِهِ [الكامل]:

فَسَقَى الغَضَى والسَّاكِنِيهِ، وإنْ هُمُو شَبُّوهُ بينَ جَوانِحي وضُلُوعي

الغَضَى: شَجَرٌ بالباديَةِ، وضميرُ «ساكِنِيهِ» يَعودُ إليه بمعنى مكانِهِ، وضميرُ «شَبُّوهُ» يَعودُ إليه بمعنى نارِهِ[٣].

---

(١) الطير يقرأ، الغدير صحيفة، الريح يكتب ضد يقرأ، الغمام يُنَقِّط، تظنون أنّه يُنَقِّطُ النقاطَ؟ المراد يُنَقِّطُ المكتوبَ(*).

(٢) هل الشهر باعتباره زماناً يُشاهَد؟ لا يُشاهَد؛ [لأنَّه] زَمَنٌ!، المرادُ بالشهر: الهلالُ، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: لِيَصُمِ الهلالَ أو لِيَصُمِ الزَّمنَ؟ لِيَصُمِ الزَّمنَ، فهنا عاد الضميرُ على غير المَرجِع بحسب الظاهر.

(٣) الغَضَى: شجر يُقْطَعُ ويَيْبَسُ فيكون من أحسن ما يكون وقوداً، والشعراء يضربون به الأمثالَ.

وهنا يقول: **«فَسَقَى الغَضَى والسَّاكِنِيهِ»**، الساكن [أهو] الغَضَى؟ الجواب: لا؛ لأنَّ الغَضَى شجرٌ، لا يُسكَن، إنَّما الذي يُسكَن هو مَحَلُّهُ أو مكانُهُ.

«وإنْ هُمُو شَبُّوهُ» الضميـر في «شَبُّوهُ» يعود إلى الغَضَى، ولكن باعتبارِ آخَرَ، أي: شَبُّوا نارَه، يقال: شَبَّ النارَ، أي: أَوْقَدَها، هذا يُسمُّونه **«الاستخدامَ»**؛ لأنَّك =

(*) وهذا ما يُسمَّى بـ «إيهام التناسُب».

٦- **الجَمْع**: هو أن يُجمَعَ بين مُتَعَدِّدٍ في حُكْمٍ واحِدٍ، كقوله [الرَّجز]:

إنَّ الشَّبابَ والفراغَ والجِدَهْ ... مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أيَّ مَفْسَدَهْ(١)

٧- **التَّفْريق**: هو أن يُفَرَّقَ بين شيئَيْنِ مِن نَوْعٍ واحِدٍ، كقوله [الخفيف]:

ما نَوالُ الغَمامِ وَقْتَ رَبيعٍ ... كَنَوالِ الأميرِ يَوْمَ سَخاءِ

فَنَوالُ الأميرِ بَدْرَةُ عَيْنٍ ... ونَوالُ الغَمامِ قَطْرَةُ ماءِ(٢)

= استخدمتَ الضميرَ في غير ما يَرجِع إليه عادةً، فكأنَّك جعلتَه خادِماً تَستخدِمه.

حَسناً، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ [المؤمنون: ١٢-١٣]، مَن الإنسان هنا؟ آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ يعود على الإنسان، لكن ليس على الإنسان الذي هو الأول، [إنَّما القصد] أي: بَنِيهِ، فهذا أيضاً فيه استخدام، والضابط ما ذكره المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) نَعَمْ، إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَةَ- ثلاثة أشياء- كلُّها داءٌ، إلَّا إذا وُفِّقَ الإنسانُ واستعمَلَها في نافع.

- الفراغ: عدم العمل، والإنسان إذا لم يكن له عَمَلٌ ذَهَبَ ذِهْنُهُ كلَّ مذهبٍ، وصار يُخَبِّطُ خَبْطَ عشواءَ.

- الجِدَة: الغِنَى؛ لأنَّ الفقرَ يُلْجِئُ الإنسانَ إلى العمل، لكن إذا كان غَنِيّاً، وكان شابّاً، وكان فارِغاً؛ هذا الفسادُ، ولهذا نَجِدُ أنَّ أكثرَ المُكَذِّبين للرُّسُلِ هم الأغنياءُ والكُبَراءُ.

والغَرَضُ من هذا البيت: تحذيرُ الشابِّ الذي أغناه اللَّهُ عزَّ وجلَّ وأَفْرَغَهُ عمَّا يُلْهيه أن يُضيعَ هذه الصفاتِ الثلاثَ في غير فائدة.

(٢) هذا مِن المبالَغاتِ الكاذِبَةِ، يعني عطاء الأمير عنده أفضل من المطر النازل من السماء الذي سَمَّاهُ اللَّهُ رِزْقاً يَنتفع به الآدميُّ والبهائمُ والأرضُ، لكن تعلمون أنَّه يقال: **«أَعْذَبُ الشِّعرِ أَكْذَبُه»**(*).

(*) قائلها: المَلِك حُجْرُ بنُ عمرٍو الكنديُّ لابنه امرئ القيس، والروايةُ كما في «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ٤/ ٧٥»: «يا بُنَيَّ! إنَّ أحسَنَ الشعرِ أكذبه، ولا يَحسُنُ الكَذِبُ بالملوك».

٨- **التَّقسيم: هو:**

أ- إمَّا اسْتِيفاءُ أقسامِ الشيءِ، نحو قولِهِ [الطويل]:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليومِ والأَمْسِ قَبْلَهُ   ولكنَّني عن عِلْمِ ما في غدٍ عَمِ(١)

ب- وإمَّا ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ وإرجاعُ ما لكلٍّ إليه على التعيين، كقولِهِ [البسيط]:

ولا يُقِيمُ على ضَيْمٍ يُرادُ به   إلَّا الأذَلَّانِ: عَيْرُ الحَيِّ والوَتَدُ

هذا على الخَسْفِ مَرْبوطٌ بِرُمَّتِهِ   وذا يُشَجُّ فلا يَرْثي له أَحَدُ(٢)

ج- وإمَّا ذِكْرُ أحوالِ الشيءِ مُضافاً إلى كلٍّ منها ما يَليقُ به، كقولِهِ [الطويل]:

سَأَطْلُبُ حَقِّي بالقَنا ومَشايِخٍ   كأنَّهُمُ مِن طُولِ ما ٱلْتَثَمُوا مُرْدُ

ثِقالٌ إذا لَاقَوْا، خِفافٌ إذا دُعُوا   كثيرٌ إذا شَدُّوا، قليلٌ إذا عُدُّوا(٣)

---

(١) قَسَّمَ الأشياءَ إلى ثلاثة أقسام: يوم حاضر، وأمس ماضٍ، وغَدٍ لا تدري هل تدركه أو لا.

(٢) يقول: «**ولا يُقيمُ على ضَيم يُراد به إلا الأذَلَّانِ**» وبيَّنَهما بقوله: «**عَيْرُ الحَيِّ والوَتَدُ**»، العَيْر: الحِمار، والوتد: الوتد بالأرض.

- الوتد بالأرض يُربَط به الحصانُ، ويُربَط به الحمارُ، ويُربَط به الإنسانُ...، وهو لا يَتأوَّهُ ولا يَتَوَجَّعُ ولا يَحتَجُّ، ذَليلٌ.

- الحِمار كلٌّ يركبه، وهو أيضاً «مربوط برُمَّتِهِ»، أي: بحبله.

«**وذا يُشَجُّ فلا يرثي له أحَدُ**»، الوتد يأتيه الصبيُّ بالحَصاة ويضربه، يتكسَّر ولا أحد يرثي له، وذاك مربوط برُمَّتِهِ ولا أحد يرثي له.

المهم أنَّ هذا فيه تقسيم، ثم أعاد مع التقسيم على كلِّ واحدٍ بوَصْفِهِ اللَّائِقِ به، ولهذا قال: «وإمَّا ذِكْرُ مُتَعَدِّدٍ وإرجاعُ ما لكلٍّ إليه على التعيين»؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ «**هذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّتِهِ**» لا يمكن أن يُراد به الوَتَدُ أبداً.

(٣) «**سأطلب حقِّي بالقنا**» يعني: الرِّماح.

=

٩- تأكيدُ المَدْحِ بما يُشْبِهُ الذَّمَّ، ضَرْبانِ:

أحدُهما: أن يُسْتَثْنَىٰ مِن صِفَةِ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةُ مَدْحٍ على تقديرِ دُخولِها فيها، كقولِهِ [الطويل]:

ولا عَيبَ فيهِمْ غَيرَ أنَّ سُيوفَهُمْ　　بِهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ(١)

= «ومشايخ كأنهم من طول ما ٱلتأموا مُرْدُ» يعني: ما لَبِسُوا لامَةَ الحرب، مُرْدٌ لأنَّ شَعْرَ اللِّحيةِ حَتَّ وزالَ، ويجوز أن يكون «ما ٱلتَثَموا» من اللِّثام: وهو تغطية بعض الوجه: الأنف والفم، لكن الأول أبلغ.

«ثِقالٌ إذا لاقَوا»: لا يتزحزحون ولا يَفِرُّون إذا لاقوا العدوّ.

«خِفافاً إذا دُعُوا»: إذا استُنفِروا لا يكونون مِمَّن قال اللّهُ فيهم: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، بل هم خِفافٌ إذا دُعُوا.

«كثيرٌ إذا شَدُّوا، قليلٌ إذا عُدُّوا»: إذا شَدُّوا الحربَ فهم كثيرٌ لشجاعتهم، فالواحد منهم يقتل عشرةً أو عشرين أو مِئَةً، ولكنهم قليلون إذا عَدَدْتَهم؛ لأنَّهم شُجْعان، وشجاعتُهم تكفي عن كثرة العدد.

فأنت تقرأ الآن هذه الأوصافَ، وكلُّ واحدٍ عاد له ما يُناسِبُهُ.

(١) إذا قال: «ولا عَيبَ فيهم غيرَ» ماذا تتوقع؟ ذم أو مدح؟ ذم، لكن قال: «غيرَ أنَّ سيوفَهم بهِنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكتائبِ»، جاءت صفةُ مدح، و«الفُلول» يعني: المتكسِّرة، «من قِراعِ الكتائِب»: كتائِب الرُّؤوسِ التي تُوضَع على الرأس.

هل هذا عَيبٌ؟ لا، بل هذا من باب تأكيد المدح بما يُشبه الذَّمَّ، لو قال هذا الناظمُ: «إنَّ هؤلاء في سيوفهم فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ» هذا مدْحٌ، لا شك، لكنَّ قولَه «ولا عيب فيه إلا كذا» أبلغُ(*).

(*) ثم ذَكَرَ الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ حديثَ رسولِ اللّه ﷺ لَمَّا ذُكِرَ له أنَّ ابنَ جميلٍ مَنَع الزكاةَ فقال ﷺ: «ما يَنقِمُ ابنُ جميلٍ إلا أنَّه كان فقيراً فأغناه اللّهُ»، ثم قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا تأكيدُ الذَّمِّ بما يُشبه المدحَ؛ لأنَّ هذا يقتضي أنَّه ما دام أغناه اللّهُ أن يُؤدِّيَ زكاتَه ولا يمتنع منها» اهـ.

قلت: الحديث رواه البخاري (٢٤/٤٩)، ومسلم (١٢/رقم: ١١).

ثانيهما: أن يُثْبَتَ لِشيءٍ صِفَةُ مَدْحٍ، ويُؤْتَى بعدها بأداةِ استثناءٍ تَليها صِفَةُ مَدْحٍ أُخْرَى، كقوله [الطويل]:

فَتَىً كَمُلَتْ أوْصافُهُ غَيْرَ أنَّهُ   جَوادٌ فما يُبْقي على المالِ باقِيا(١)

١٠- **حُسْنُ التعليلِ**: هو أن يُدَّعَى لِوَصْفٍ عِلَّةٌ غَيْرُ حقيقِيَّةٍ فيها غَرابَةٌ، كقولِهِ [البسيط]:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الجَوْزاءِ خِدْمَتَهُ   لَمَا رَأَيْتَ عليها عِقْدَ مُنْتَطِقِ(٢)

١١- **اِئْتِلافُ اللَّفْظِ مع المعنى**: هو أن تكونَ الألفاظُ مُوافِقَةً للمعاني،

---

(١) هذا قريب من الأول من حيث المعنى، يُثْبِتُ أولَ شيءٍ صفةَ مدحٍ، ويأتي بعدها بأداة استثناء تليها صفةُ مدحٍ أخرى، مثاله: «فتى كَمُلَتْ أوصافُه غيرَ أنَّه» تتوقعون صفة ذمٍّ، لكنَّه أتى بصفة مدحٍ: «جَوادٌ فما يُبْقي على المال باقياً».
وتقول مثلًا: «فتى كثيرُ العطاءِ غيرَ أنَّه شجاعٌ» هذا تأكيد المدح بما يُشبه الذم؛ لأنَّه يتوقع المخاطَبُ إذا قلت: «فلانٌ كثيرُ العطاءِ غيرَ أنَّه» يتوقع «فيه - مثلًا- حُمْقٌ»، «فيه كذا وكذا»، يتوقع صفةَ ذمٍّ، لكن تأتي صفةُ مدح فيكون هذا من باب تأكيد المدح بما يُشبه الذَّمَّ(*).

(٢) الجَوْزاءُ: نجومٌ معروفةٌ، هذا يقول: «لولا أنَّ الجوزاءَ تريد أن تَخْدِمَهُ ما رأيتَ عليها هذا العِقْدَ: عِقْدَ ذاتِ النِّطاقِ»، هل هذا صحيح أو لا؟ غير صحيح، لا شك، الجوزاء خَلَقَها اللَّهُ على هذه الصفة، لكنَّه ادَّعَى أنَّها صارتْ على هذا الوجه من أجل خدمة ممدوحه، هذا يُسمُّونه حُسْنَ التعليلِ، والحقيقة أنَّه كَذِبُ التعليلِ، مَن قال هذا!؟ لكن كما قلتُ لكم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

(*) ومن المحسّنات المعنوية: «**تأكيدُ الذَّمِّ بما يُشبِهُ المدحَ**»، وهو نوعان:
أحدهما: أن يُستثنَى من صفةِ مدحٍ منفيةٍ صفةُ ذمٍّ على تقدير دخولها فيها، نحو: لا خير فيه إلا أنَّه بخيل.
ثانيهما: أن يُثْبَتَ لشيءٍ صفةُ ذمٍّ وَيُؤْتَى بعدها بأداة استثناء تليها صفةُ ذمٍّ أُخرى، نحو: القائد خائِفٌ إلا أنَّه ضعيف.

فَتُخْتَارُ الألفاظُ الجَزْلَةُ، والعِباراتُ الشديدةُ؛ للفَخْرِ والحماسَةِ، والكلماتُ الرقيقةُ، والعِباراتُ اللَّيِّنَةُ؛ للغَزَلِ ونَحْوِهِ(١)، كقوله [الطويل]:

إذاما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنا حِجابَ الشَّمْسِ أو قَطَرَتْ دَمَا
إذاما أَعَرْنا سَيِّداً مِنْ قَبيلَةٍ ذُرَىٰ مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنا وَسَلَّمَا(٢)

وقولِهِ [الرَّمَل]:

لَمْ يَطُلْ لَيلي ولكنْ لَمْ أَنَمْ وَنَفَى عَنِّي الكَرَى طَيفٌ أَلَمْ(٣)

---

(١) هذا من المحسِّنات: أن يكون اللفظُ مطابِقاً للمعنى، فحينما تتكلَّم عن الحماسة، وعن الشجاعة؛ [فهل] تأتي بوصف النساء؟ لا، تأتي بوصفِ الحماسةِ والحربِ والإقدام والكَرِّ والفَرِّ، وعندما تُريدُ أن تتحدَّثَ حديثَ المُتَغَزِّلِ تأتي بالألفاظ المناسِبة، هذا أيضاً لا شك أنَّه من البديع ومن المحسِّنات.

(٢) هذا أيضاً حَماسٌ، يقول: «إنَّ غَضْبَتَنا قويَّةٌ، إذا غَضِبْنا الغضبةَ المُضَرِيَّةَ- وهم من أشرف قبائل العرب- هَتَكْنا حجابَ الشمسِ أو قَطَرَتْ دماً»، وهذا جداً عظيمٌ، وكذلك أيضاً:

إذاما أَعَرْنا سَيِّداً مِنْ قَبيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَينا وسَلَّمَا

أي: دعا لنا، يعني: حتى الخطباء إذا أَعَرْناهم ذُرَى المنبرِ فإنَّهم يَصدَعون لنا، يُصلُّون ويُسلِّمون.

(٣) هذا الرجل قام يُفكِّر في محبوبته، والليلُ لم يَطُلْ عليه، لماذا؟ لأنَّ الإنسانَ إذا فكَّر فيما يُحِبُّ مَضَى عليه الليلُ بسرعة حتى لو لم يَنَمْ كلَّ الليلِ، فهو يقول: «ليلي لم يَطُلْ، ولكنِّي ما نِمتُ»، ولماذا لم يَنَمْ؟ نَفَى عنه الكَرَى- أي: النومَ- طَيْفٌ أَلَمَّ.

إذا قارَنْتَ هذا البيتَ بالبيتين قبله عَرَفْتَ الفرقَ بين هذا وهذا، ويقول الشاعر [الخفيف]:

أنَا كالماءِ إنْ رَضِيتُ صَفاءً وإذاما غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيباً

الشطر الأول إذا قرَأْتَهُ تطمئنُّ نفسُك وترتاح، ماءٌ صافٍ، إذا جاء الثاني أعوذ باللَّهِ: «إذاما غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيباً»: أُحرِقُ، فتَجِدُ الفرقَ بين هذا وهذا، وعلى كلِّ حالٍ هذا يمدح نفسه بأنَّه في حال الرِّضا يكون كالماء الصافي، وفي حال الغضب يكون كالنار.

١٢- **أسلُوبُ الحكيم**: وهو تَلَقِّي المُخاطَبِ بغيرِ ما يَتَرَقَّبُهُ، أو السائلِ بغيرِ ما يَطْلُبُهُ؛ تَنْبِيهاً على أنّه الأَوْلَى بالقَصْدِ(١).

- **فالأول**: يكونُ بِحَمْلِ الكلام على خلافِ مُرادِ قائِلِهِ، كقول القَبَعْثَرَى للحَجَّاج- وقد تَوَعَّدَهُ بقولِهِ: «لَأَحْمِلَنَّكَ على الأَدْهَمِ»- : «مِثْلُ الأميرِ يَحْمِلُ على الأَدْهَمِ والأَشْهَبِ».

فقال له الحَجَّاجُ: «أَرَدْتُ الحديدَ».

فقال القَبَعْثَرَى: «لَأَنْ يكونَ حديداً خيرٌ مِن أن يكونَ بَليداً».

أراد الحَجَّاجُ بالأَدْهَمِ: القَيْدَ، وبالحديدِ: المَعْدِنَ المخصوصَ، وحَمَلَهُما القَبَعْثَرَى على الفَرَس الأَدْهَمِ الذي ليس بَليداً(٢).

---

(١) يعني الإنسان يتكلّم ويُحمَل كلامُهُ على معنىً لا يُريده، أو يُجاب السائلُ بغير ما يطلبه؛ تنبيهاً له على أنَّ الأَوْلَى أن يسأل عن هذا، وله أمثلة.

(٢) هذا عُدولٌ باللفظ عن معناه المراد، لكنْ مثلُ هذا يُعجِبُ الحَجَّاجَ وأمثالَهُ، ورُبَّما يصفح عنه، يقول له: «لَأَحمِلَنَّك على الأَدْهَم»، القَبَعْثَرَى يَعرف ما هو الأدهم، يَعرِف أنَّه حديد، ويَعرِف أنَّ الحَجَّاجَ- وهو يَتَوعَّدُهُ- لا يمكن أن يحمله على الخيل، قال: «لَأَنْ يكون حديداً خيرٌ مِن أن يكونَ بَليداً»، الحديد تكون عنده قوةٌ في الجَرْيِ والكَرِّ والفَرِّ، والبليد بالعكس، لكن أراد الحَجَّاجُ بالأدهم القَيْدَ، وبالحديد المَعْدِنَ المخصوصَ، وحَمَلَهُما القَبَعْثَرَى على الفَرَسِ الأَدْهَمِ الذي ليس بليداً.

إذاً أسلوبُ الحكيم هنا في ماذا؟ حيث نَقَلَ مُرادَ المتكلّم إلى مراده هو، فالتصرُّفُ مِن المخاطَب، وهذه تَقع كثيراً حتى في الكلام الدارج عند الناس، تجده يحمل كلامَهُ على غير ما أراد؛ إمَّا من باب المُلاطَفةِ أو لغير ذلك من الأسباب.

- **والثاني**: يكون بتنزيل السؤالِ مَنْزِلَةَ سؤالٍ آخَرَ مُناسِبٍ لِحالةِ المَسْأَلَةِ(*)، كما في قولِهِ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، سَأَلَ بعضُ الصَّحابَةِ النَّبِيَّ ﷺ: «ما بالُ الهِلالِ يَبْدُو دَقيقاً، ثم يَتَزايَدُ حتى يَصيرَ بَدْراً، ثم يَتَناقَصُ حتى يعودَ كما بَدَا؟»(**)، فجاء الجوابُ عن الحكمةِ المُتَرَتِّبَةِ على ذلك؛ لأنَّها أَهَمُّ للسائلِ، فنُزِّلَ سُؤالُهُمْ عن سَبَبِ الاختلافِ مَنْزِلَةَ السؤالِ عن حكمتِهِ(١).

* * *

(١) معناه: أن يُصرَف السائلُ عَمَّا سَأَلَ ويُجابَ بغير ما سَأَلَ؛ تنبيهاً له على أنَّه ينبغي أن يَسأل عن هذا.

القِصَّةُ التي ذَكَرَ المؤلِّفُ غيرُ صحيحةٍ، الصحابة سألوا الرسولَ ﷺ عن الأَهِلَّةِ عن الحكمةِ فيها، لا عن مسألةٍ فَلَكِيَّةٍ، فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾.

لكن هنا آية أخرى يُمَثَّلُ بها وهي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ولم يَقُلْ: «أَنْفِقُوا كذا أو كذا أو كذا»،بَيَّنَ وَجْهَ ما يُنْفَقُ عليه إشارةً إلى أنَّ الأهمَّ مَحلُّ الإنفاقِ لا قَدْرُ الإنفاقِ وأن يكونَ في هؤلاء: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ ...﴾.

(*) أي: بترك سؤاله والإجابة عن سؤالٍ لم يسأله.

(**)انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٩١)، ومسند ابن أبي حاتم (١٧٠٧).

مُحَسِّناتٌ لَفْظِيَّةٌ

مُحَسّناتٌ لَفْظِيَّةٌ(١)

٤٣- **الجِناس**: هو تَشابُهُ اللَّفظَيْنِ في النُّطْقِ لا في المعنى، ويكون تامّاً وغيرَ تامٍّ.

- **فالتامُّ**: ما اتَّفَقَتْ حُروفُهُ في الهَيْئَةِ والنَّوْعِ والعَدَدِ والترتيبِ(٢)، نحو [البسيط]:

لَمْ نَلْقَ غَيرَكَ إِنساناً يُلاذُ بِهِ   فلا بَرِحْتَ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنساناً(٣)

ونحو [السريع]:

فَدارِهِمْ ما دُمْتَ في دارِهِمْ   وأَرْضِهِمْ ما دُمْتَ في أَرْضِهِمْ(٤)

---

(١) لمّا انتهى المؤلِّفُ من المحسِّناتِ المعنويةِ ذَكَرَ المحسِّناتِ اللفظيةَ التي تعود إلى اللفظ فقط.

(٢) **أربعة أشياء**:

١- **الهيئة**: يعني الحركات: فتحة، ضمة، كسرة، سكون.

٢- **النوع**: باء، تاء، جيم، وهكذا...

٣- **العدد**: أربعة وأربعة مثلًا.

٤- **الترتيب**.

هذا يُسمَّى جِناساً تامّاً.

(٣) الشاهد قوله: «إنساناً يُلاذُ به»، المرادُ به: البَشَرُ، «لعين الدهر إنساناً» المرادُ به: إنسانُ العينِ؛ لأنَّ إنسانَ العينِ هو الذي يكون فيه البصر.

(٤) «دار» و«دار» مُتَّفِقَةٌ في الهيئة والنوع والعدد والترتيب، والمعنى مُختلِفٌ، «دار» الأُولى: فعل أمر، و«دار» الثانية: اسم. =

- وغيرُ تامٍّ، نحو [الطويل]:

يَمُدُّونَ مِن أَيْدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ   تَصُولُ بأَسْيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ(١)

١٤- السَّجْع: هو تَوَافُقُ الفاصِلَتَيْنِ نَثْراً(٢) في الحرفِ الأخيرِ.

- نحو: «الإنسانُ بآدابِهِ، لا بِزِيِّهِ وثِيابِهِ».

- ونحو: «يَطْبَعُ الأَسْجاعَ بجَوَاهِرِ لَفْظِهِ، ويَقْرَعُ الأسْماعَ بزَوَاجِرِ وَعْظِهِ»(٣).

= «أَرْضِهِمْ» و«أَرْضِهِمْ» مُتَّفِقَةٌ في الحروف عدداً وترتيباً وهيئةً ونوعاً، مُختلِفَةٌ في المعنى، «أرضهم» الأُولى: فعل أمر من «رَضِيَ»، و«في أرضهم»: اسم.

(١) الشاهد قوله: «عواص عواصم»، هذا جِناس غير تام؛ لأنَّ الثانية أَزْيَدُ من الأُولى بحرف، و«قواض قواضب»؛ الثانية زائدة عن الأُولى بحرف.

حَسَناً، قول الشاعر(*) [الطويل]:

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيا فَلَمْ يَكُنْ   إلى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فيه سبيلُ

«يحيى ليحيا»: تام.

(٢) قوله «نَثْراً» احترازاً مِن الشِّعر، مع أنَّ الشِّعْرَ يكون فيه أيضاً السَّجْعُ(**)، لكنَّ الغالِبَ أن السَّجْعَ يكون في النَّثْرِ.

(٣) السَّجْعُ كثيرٌ في كلام العرب، وفي الحديث النبويِّ، وفي كلام العلماء، ومِن أَقْدَرِ مَن قرأتُ كتابَهُ على السَّجْعِ ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التَّبْصِرَة»، يأتي بِسَجْعٍ عجيبٍ يأخذ باللُّبِّ، وتشعر بأنَّ الرَّجُلَ لا يتكلَّف، ويُوجَد الآن معنا مَن يكون كلامُه كلُّه سَجْعاً، ويتكلَّم عادٍ، يَسهُل عليه السَّجْعُ، فهل السَّجْعُ محمودٌ أو مذمومٌ؟ =

(*) هو محمد بن عبد الله بن كُناسة الأسدي الكوفي، قاله في رثاء ابنه يحيى.

(**) كقول أبي تمّام [الطويل]:

تَجَلَّى به رُشْدي، وأَثْرَتْ به يدي   وفاضَ به ثَمْدي، وأَوْرَى به زَنْدي

١٥- الاقتِباس: هو أن يُضَمَّنَ الكلامُ شيئاً مِن القُرآنِ أو الحديثِ لا على أنّه

نقول:

- إذا كان غيرَ متكلِّفٍ وجاءت به الطبيعةُ هكذا فإنَّه محمود؛ لأنّه يُنَمِّقُ الكلامَ ويُحَسِّنُهُ ويُطْرِبُ الأسماعَ.

- وأمَّا إذا كان متكلِّفاً فإنَّه لا شك أنّه مذمومٌ، ولهذا تَجِدُ السَّجْعَ المتكلَّفَ يَحْصُلُ فيه غموضٌ في المعنى؛ لأنَّ المتكلِّمَ يُحاوِلُ أن يأتيَ بالكلمات المتناسِبةِ ولكن مع مَشَقَّةٍ.

- أمَّا إذا أُرِيدَ به الباطلُ فهذا واضحٌ أنّه - سواء كان سَجْعاً أو غيـرَ سجْـعٍ - أنَّه مذمومٌ بلا شك.

فقول الرسول ﷺ: **«قضاءُ اللّهِ أَحَقُّ، وشَرْطُ اللّهِ أَوْثَقُ، وإنَّما الوَلاءُ لِمَن أَعْتَقَ»**(*)؛ هذا سَجْعٌ بلا شك، لكنَّه محمود؛ لأنّه غيرُ متكلَّف جاءت به السليقةُ هكذا، فلا يكون مذموماً.

وكذلك يُوجَد في بعض الخُطَبِ- خُطبِ العلماءِ رحمهم الله - التي قبل بَدْءِ الكلامِ يكون فيها سَجْعٌ كثيرٌ.

أمَّا إذا قُصِدَ به الباطلُ فلا شك أنّه مذموم، مثل قول حَمَل بن النابغةِ للرسول ﷺ حين قَضَى في قصة المرأتَيْنِ المُقْتَتِلَتَيْنِ بديةٍ وغُرَّةٍ، قال: «يا رسولَ اللّهِ! كيف أَغْرَمُ مَن لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَقَ ولا استَهَلّ؟، فمِثْلُ ذلك يُطَلُّ» يعني: «كيف أَغْرَمُ الجَنينَ الذي مات وهو لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَقَ ولا استَهَلّ؟، فمِثْلُ ذلك يُطَلُّ» يعني: يُهْدَر، هذا سَجْعٌ، ولهذا قال: «لا شَرِبَ ولا أَكَلَ» ولم يقل: «مَن لا أَكَلَ ولا شَرِبَ»، مع أن العادةَ أنَّ الأكلَ يُقَدَّم على الشُّرْبِ، فقال النبي ﷺ: **«إنَّما هذا مِن إخوانِ الكُهّانِ، مِن أَجْلِ سَجْعِهِ الذي سَجَعَ»**(**) يعني: مِن أجل كلامه المسجوع؛ لأنَّ الكاهِنَ يأتي بكلامٍ مسجوعٍ لِيُنَمِّقَ الكلامَ ويكونَ أشدَّ طَرَباً للأسماع.

الخُلاصَة:

١- السَّجْعُ المتكلَّف مذمومٌ.

٢- السَّجْعُ الذي يُراد به إبطالُ الحقِّ مذمومٌ، لكنَّ الأولَ مذمومٌ من حيث الشكل، =

(*) رواه البخاري (٥٤/ ١٣)، ومسلم (٢٠/رقم: ٦)، واللفظ للبخاري.

(**) رواه البخاري (٤٦/٧٦)، ومسلم (٢٨/ رقم: ٣٦).

منه: كقولِهِ [الخفيف]:

لا تكُنْ ظالماً ولا تَرْضَ بالظُّلْـ ـمِ، وأنكِرْ بكُلّ ما يُستَطاعُ
يومَ يأتي الحِسابُ ما لِظَلُومِ مِنْ حَميمٍ ولا شَفيعٍ يُطاعُ(١)

وقولِهِ [الرَّمَل]:

لا تُعَادِ النَّاسَ في أوطانِهِمْ قَلَّما يُرعَى غريبُ الوَطَنِ
وإذا ما شِئْتَ عَيشاً بَينَهُم خالِقِ النَّاسَ بِخُلْقٍ حَسَنِ(٢)

= والثاني مذمومٌ من حيث المضمون.

٣ - السَّجْعُ الذي لا يُبْطِلُ حقاً ولا يأتي متكلَّفاً هذا محمودٌ؛ لأنَّه لا شك أنَّه يُحسِّنُ الكلامَ.

(١) قوله: «ما لظلوم» وفي القرآن ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾(*)، «ما لظلوم من حميم ولا شفيع يطاع» هذا يُسمَّى الاقتباس، يعني: أنَّه اقتبَسَ من القرآن أو الحديث هذه الجملةَ وأضافها إلى كلامه، لكن لا على أنَّها منه، بل على أنَّها من القرآن أو من الحديث، ولكن هل هذا محمود أو لا؟

هذا اشتُهِرَ بين الأدباء في القرون الوسطى، لكنَّه فيما أرى مذمومٌ، خصوصاً إذا جاء في الشِّعر وهو من القرآن؛ لأنَّ هذا يُوحِي بأنَّ القرآنَ نوعٌ من الشِّعر، فلذلك ينبغي أن يقال: إنَّ الاقتباسَ من القرآن إذا كان في النَّظم فهو مذمومٌ؛ لأنَّه يجب إبعادُ القرآنِ عن الشِّعر، قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

(٢) الشاهد: «خالِقِ الناسَ بخلقٍ حَسَنِ»، هذا جزء من حديث(**).

(*) الآية بتمامها: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

(**) عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتقِ اللَّه حيثُما كنتَ، وأَتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ»، رواه أحمد في مسنده (٣/ ٥)، والترمذي (٢٤/ ٥٥) وغيرُهما، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٩٧).

ولا بأس بتغيير يسير في اللفظ المُقْتَبَسِ للوَزْنِ أو غيرِهِ، نحو [مُخَلَّع البسيط]:

قد كانَ ما خِفْتُ أن يكونا إنا إلى اللهِ راجِعُونا

والتِّلاوَةُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1] [البقرة: ١٥٦].

* * *

(١) لكن إذا غُيِّرَ فقد يُمْنَعُ أن يكونَ اقتباساً؛ لأنَّه إذا تَغيَّر ما صار بلفظ القرآن، ولا بلفظ الحديث.

الاقتباس إذاً من المحسِّنات اللفظية، لكن لا ينبغي أن يكون من القرآن إذا كان ذلك في الشِّعر(*).

(*) وبعد الدرس وَرَدَ إلى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذا السؤالُ:
الطالب: ما الدليل على عدم جواز الاقتباس بشيء من القرآن أو الحديث مع أنَّ الصحابةَ يقتبسون بشيء من القرآن، وها هو طلحة لَمَّا وصله الخبرُ أنَّ قَتَلَةَ عثمان نادمون على ما فعلوه قال: «تبّاً لهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ٥٠﴾ [يس]»؟.
فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا ليس من الاقتباس، هذا من الاستشهاد، وأولًا لا بُدَّ أن يَثْبُتَ هذا عن طلحة، ثَبِّتْهُ أولًا ثم انظر هل يدخل في هذا أو لا، لأنه واضحٌ أنَّ هذا قرآنٌ مُستقِلٌ، لكن استَشْهَدَ به على نظيره، مثل قول الرسول ﷺ مع الحسن والحسين: «صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]» اهـ.
قلت: حديث الحسن والحسين رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٤)، وأبو داود (٢/ ٢٣٣) والترمذي (٥٠/ ٣١)، والنسائي (١٤/ ٣٠)، وابن ماجه (٣٢/ ٢٠) وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٣٧٥٧).
أما أثر طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد أخرجه الطبري في «تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٦٧٦» وابن عساكر في «تاريخ دمشق: ٤١/ ٢٩٢».

خاتِمَةٌ

خاتِمَةٌ

١٦- **حُسْنُ الابتداءِ**: هو أن يَجْعَلَ المتكلِّمُ مَبْدَأَ كلامِهِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صحيحَ المعنى، فإذا اشتَمَلَ على إشارَةٍ لطيفةٍ إلى المقصودِ سُمِّيَ «**بَراعَةَ الاستهلالِ**»(١)، كقولِهِ في تهنئةٍ بزوالِ مَرَضٍ [البسيط]:

المَجْدُ عُوفِيَ إِذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ ... وزالَ عنكَ إلى أعدائِكَ السَّقَمُ

وكقولِ الآخَرِ في التهنئةِ ببناءِ قَصْرٍ [الكامل]:

قَصْرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسَلامُ ... خَلَعَتْ عليه جَمالَها الأيَّامُ

١٧- **حُسْنُ الانتهاءِ**: هو أن يَجْعَلَ آخِرَ الكلامِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صحيحَ المعنى، فإنِ اشتَمَلَ على ما يُشْعِرُ بالانتهاءِ سُمِّيَ «**براعَةَ المَقْطَعِ**»(٢)، كقولِهِ [الطويل]:

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وهذا دُعاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شامِلُ(٣)

* * *

---

(١) ابن حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ في «بلوغ المَرام» قال: «الحمدُ للَّهِ على نِعَمِهِ الظاهرةِ والباطِنةِ قديماً وحديثاً»، بَراعَةُ الاستهلالِ في قوله: «حديثاً»، وكلمةُ «بَراعَة» تُفْهِمُ بأنَّ هذا الأسلوبَ يأتي عن ذكاءٍ وفِطْنَةٍ.

(٢) وبعضهم يقول: «بَراعَة الاختتامِ أو الانتهاءِ»، والمعنى واحد.

(٣) الشاهد قوله: «وهذا دعاءٌ للبريةِ شامِلُ» يعني: انْتَهَيْنا.

* * *

انتهى الكتاب الآن.

تَنْبِيهٌ

تَنْبِيهٌ

ينبغي للمعلِّم أن يُناقِشَ تلاميذَه في مسائلِ كلِّ مَبْحَثٍ شَرَحَهُ لهم مِن هذا الكتابِ؛ لِيتمكَّنوا مِن فَهْمِهِ جَيِّداً، فإذا رأى منهم ذلك سألهم مسائلَ أُخرى يُمْكِنُهم إدراكُها مِمَّا فَهِمُوه.

أ- كأنْ يسألَهم بعد شَرْحِ الفصاحةِ والبلاغةِ وفَهْمِهِما عن أسبابِ خروجِ العباراتِ الآتية عنهما أو عن إحداهما:

[مجزوء الرَّجَز]:

١- وَجَفْنَةٍ مُتْعَنْجِرَهْ وَطَعْنَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ
تَبْقَى غداً بِأَنْقَرَهْ

أي: جفنةٍ مَلْآى، وطعنةٍ مُتَّسِعَةٍ، تبقى ببلد أنقرة.

[الرَّجَز]:

٢- الحمدُ لِلَّهِ العَلِيِّ الأَجْلَلِ ... ...

٣- «أكلتُ العَرينَ، وشربتُ الصُّمَادِحَ»، تريد اللَّحْمَ والماءَ الخالصَ.

[السريع]:

٤- وَازْوَرَّ مَن كان لَهُ زائِراً وعافَ عافِي العُرْفِ عِرْفانَهُ

[الطويل]:

٥- أَلَا لَيتَ شِعْري هل يَلُومَنَّ قَوْمُهُ   زُهَيراً على ما جَرَّ مِن كُلِّ جانِبِ

[الكامل]:

٦- مَنْ يَهْتَدِي في الفِعْلِ ما لا يَهْتَدِي   في القَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعَراءُ

أي: يهتدي في الفعلِ ما لا يَهتديه الشُّعراءُ في القولِ حتى يَفعل.

٧- «قَرُبَ مِنَّا فَرَأَيْنَاهُ أسداً»، تريد أَبْخَرَ.

٨- «يَجِبُ عليكَ أن تَفْعَلَ كذا»، تقوله بشدَّةٍ مُخاطِباً لِمَن إذا فَعَلَ عُدَّ فِعْلُهُ كَرَماً وفَضْلًا.

* * *

ب- وكأن يسألُهم بعد بابِ الخَبَرِ والإنشاءِ أنْ يُجيبوا عَمَّا يأتي:

١- أمِنَ الخَبَرِ أم الإنشاءِ:

- قولُك: «الكلُّ أعظمُ من الجُزْءِ».

- وقولُه تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ [القَصَص: ٧٦].

٢- ما الذي يستفيده السامِعُ مِن قولِك:

- «أنا مُعْتَرِفٌ بفضلِك».

- «أنتَ تقوم في السَّحَرِ».

- «رَبِّ إنِّي لا أستطيعُ اصطباراً».

٣- من أيِّ الأضرب قولُهُ تعالى عن رُسُلِ عيسى:

- ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

- ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

٤- مِن أيِّ أنواعِ الإنشاءِ هذه الأمثلةُ، وما معانيها المستَفادَةُ مِن القرائِنِ:

[الطويل]:

- **أُولَئِكَ آبائي فَجِئْني بِمِثْلِهِمْ إذا جَمَعَتْنا يا جَريرُ المَجَامِعُ**

- «اِعْمَلْ ما بَدَا لَكَ».

- «لا تَرْجِعْ عن غَيِّكَ».

- «لا أُبالي أَقَعَدَ أَمْ قامَ».

- ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

- ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا﴾ [الشعراء: ١٨].

[الرَّمَل]:

- **لَيتَ هِنداً أَنجَزَتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنفُسَنا مِمَّا نَجِدْ**

- «لو يأتينا فيُحَدِّثَنا»

[الوافر]:

- **أَسُكَّانَ العَقيقِ كَفَى فِراقاً ... ...**

جـ- وكأنْ يسألُهم بعد «الذِّكْرِ والحذفِ»:

*** عن دواعي الذِّكْرِ في هذه الأمثلةِ:**

١- ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠].

٢- «الرئيسُ كَلَّمَني في أَمْرِكَ، والرئيسُ أَمَرَني بمُقَابَلَتِكَ»، تُخاطِبُ غَبِيّاً.

٣- «الأميرُ نَشَرَ المعارِفَ، وأَمَّنَ المخاوِفَ»، جوباً لمَن سَأَلَ: ما فَعَلَ الأمِيرُ؟.

٤- «حَضَرَ السارقُ»، جواباً لقائلٍ: هل حَضَرَ السارقُ؟.

٥- «الجِدارُ مُشرِفٌ على السقوطِ»، تقوله بعد سَبْقِ ذِكْرِهِ؛ تنبيهاً لصاحبه.

*** وعن دواعي الحذف في هذه الأمثلةِ:**

١- ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠].

٢- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

٣- ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: ٢].

٤- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

٥- ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨].

٦- «مُنْضِجَةُ الزُّروعِ، ومُصلِحَةُ الهواءِ».

٧- «مُحْتالٌ مُراوِغٌ»، بعد ذِكْرِ إنسانٍ.

[الكامل]:

٨- أَمْ كيف يَنْطِقُ بالقَبيحِ مُجاهِراً   والهِرُّ يُحْدِثُ ما يَشاءُ فَيَدْفِنُ

* * *

د - وكأنْ يسألُهم عن دواعي التقديمِ والتأخيرِ في هذه الأمثلةِ:

١- ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

[البسيط]:

٢- ما كُلُّ ما يَتَمَنَّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ   ... ...

٣- «السَّفَّاحُ في دارِكَ».

٤- «إذا أَقْبَلَ عليك الزَّمانُ نقترح عليك ما نشاء».

٥- «الإنسانُ جِسْمٌ نامٍ، حَسَّاسٌ ناطِقٌ».

٦- «اللَّهَ أَسْأَلُ أن يُصْلِحَ الأمرَ».

٧- «الدَّهْرُ مَلأَ فَوْدَيَّ شَيْباً».

٨- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

[البسيط]:

٩- ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدُّنيا بِبَهْجَتِها: شَمْسُ الضُّحَى، وأبو إسحاقَ، والقَمَرُ

[المتقارِب]:

١٠- وما أنا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ... وما أنا أَضْرَمْتُ في القلبِ نارَا

* * *

هـ- وكأنْ يسأَلُهم بعد التشبيهِ عن التشبيهاتِ الآتيةِ:

[الطويل]:

١- وقد لاحَ في الصُّبحِ الثُّرَيَّا لمَن رَأَى ... كعُنقودِ مَلَّاحِيَّةٍ حينَ نَوَّرَا

[المُنْسَرِح]:

٢- كأنَّما النَّارُ في تَلَهُّبِها ... والفَحْمُ مِن فَوْقِها يُغَطِّيها
زِنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أنامِلَها ... مِن فَوْقِ نارِنْجَةٍ لِتُخْفِيها

[الكامل]:

٣- وكأنَّ أجرامَ النُّجومِ لَوامِعاً ... دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أَزْرَقِ

[الكامل]:

٤- عَزَماتُهُ مِثْلُ النُّجومِ ثَواقِباً ... لو لم يَكُنْ لِلثَّاقِباتِ أُفولُ

[الكامل]

٥- أَبْذُلْ فإنَّ المالَ شَعْرٌ كُلَّما ... أَوْسَعْتَهُ حَلْقاً يَزِيدُ نَباتاً

[الطويل]:

٦- ولَمَّا بَدَا لِيَ مِنكَ مَيْلٌ مَعَ العِدَا ... عَلَيَّ ولَمْ يَحْدُثْ سِواكَ بَديلُ

صَدَدْتُ كما صَدَّ الرَّمِيُّ تطاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الأيامِ وَهْوَ قَتيلُ

[الخفيف]:

٧- رُبَّ حَيٍّ كَمَيْتٍ ليس فيهِ أَمَلٌ يُرتَجى لِنَفعٍ وضُرّ

وعِظامٍ تَحتَ التُّرابِ وفَوْقَ الـ أَرْضِ مِنها آثارُ حَمْدٍ وشُكْرِ

[الطويل]:

٨- كأَنَّ انتضاءَ البدرِ مِن تَحتِ غَيْمِهِ نَجاةٌ مِن البأساءِ بعد وُقوعِ

* * *

و- وكأنْ يسأَلُهم عن المُحَسِّناتِ البديعيةِ فيما يأتي:

[مجزوء الرَّمَل]:

١- كانَ ما كانَ وزالا فاطَّرِحْ قِيلًا وقالًا

أيُّها المُعرِضُ عَنّا حَسْبُكَ اللّهُ تعالى

٢- ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

[الكامل]:

٣- خُلِقُوا وما خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ فكأنَّهم خُلِقوا وما خُلِقوا

[الطويل]:

٤- على رَأْسِ حُرٍّ تاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ وفي رِجلِ عَبْدٍ قَيدُ ذُلٍّ يَشينُهُ

[المُجْتَثّ]:

٥- مَنْ قاسَ جَدواكَ يوماً بالسُّحْبِ أخْطأَ مَدْحَكْ
السُّحْبُ تُعْطي وتَبْكِي وأنتَ تُعْطي وتَضْحَكْ

[الكامل]:

٦ - آراؤُكُمْ ووُجوهُكُمْ وسُيوفُكُمْ في الحادِثاتِ إذا دَجَوْنَ نجومُ

[الخفيف]:

٧- إنَّما هذه الحياةُ متاعٌ والسَّفِيهُ الغَبِيُّ مَنْ يَصْطَفِيها
ما مَضَى فاتَ والمُؤَمَّلُ غَيْبٌ ولَكَ السَّاعَةُ التي أنتَ فيها

[البسيط]:

٨- لا عَيْبَ فيهِمْ سِوى أنَّ النَّزيلَ بِهِمْ يَسْلُوا عن الأهلِ والأوطانِ والحَشَمِ

[مجزوء الخفيف]:

٩- عاشِرِ النَّاسَ بالجَمِيـ ـلِ وخَلِّ المُزاحَمَهْ
وتَيَقَّظْ وقُلْ لِمَنْ يَتَعاطَى المُزاحَ: مَهْ

[الوافر]:

١٠- فَلَمْ تَضَعِ الأعادي قَدْرَ شاني ولا قالوا فلانٌ قَدْ رَشاني

١١- أيُّ شيءٍ أطيبُ مِن ابتسامِ الثُّغورِ، ودوامِ السُّرورِ، وبُكاءِ الغمامِ، ونَوْحِ الحمامِ.

[البسيط]:

١٢ - مَدَحْتُ مَجْدَكَ، والإخلاصُ مُلْتَزَمي   فيه، وحُسْنُ رجائي فيكَ مُخْتَتَمِي

* * *

ولا يَصْعُبُ على المُعَلِّمِ اقتِفاءُ هذا المَنْهَجِ، واللَّهُ الهادي إلى طريقِ النَّجاحِ.

* * *

تَمَّ الكتابُ، والحمدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمين

الفهارس العامة

فهرس الآيات

(حسب ورودها في المصحف)

فهرس الأحاديث والآثار

(حسب الترتيب الهجائي)

فهرس الأشعار

(حسب الترتيب الهجائي للقافية)

فهرس أنصاف الأبيات

(حسب الترتيب الهجائي)

فهرس الأعلام

(الذين ذكرهم الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ)

العَلَـم | الصفحة

المذاهب والطوائف

(التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

الكتب

(التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ)

فهرس المواضيع

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة والكمبيوتر
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

قريباً إن شاء الله

ألفية ابن مالك

في النحو والصرف

لإمام العربية العلَّامة محمد بن عبد اللَّه بن مالك الأندلسي

رحمه الله (٦٠٠ - ٦٧٢هـ)

شرح

فضيلة الشيخ العلَّامة النحوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله (١٣٤٧ - ١٤٢١هـ)

اعتنى به

محمد بن فلاح المطيري